سلسلة التفكير الناجح ٥

كيف تخطط مشروع زواج ناجح

محمد نبيل كاظم

السلام
...ر والتوزيع والترجمة

سِلسِلَةُ التَّفكيرِ النَّاجِح [٥]

كَيفَ تُخَطِّطُ مَشرُوعَ زَوَاجٍ نَاجِحٍ ؟

١,٤ ف
كمك

تَأليف
مُحَمَّد نَبِيل كَاظِم

دَار السَّلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

كافة حقوق الطبع والنشر والترجمة محفوظة
للناشر

دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة
لصاحبها
عبد القادر محمود البكار

الطبعة الثانية
١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م

بطاقة فهرسة
فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية - إدارة الشئون الفنية .

كاظم ، محمد نبيل .
كيف تخطط مشروع زواج ناجح؟/ محمد نبيل كاظم . -
ط١ . - القاهرة : دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ، ٢٠٠٦م .
١٩٢ ص ؛ ١٢ × ٢٠سم .
تدمك ١ ٣٦١ ٣٤٢ ٩٧٧
١ - الزواج - أخلاقيات .
٢ - الزواج - العادات والتقاليد .
أ - العنوان .
١٧٣

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة
ش.م.م

تأسست الدار عام ١٩٧٣م وحصلت على جائزة أفضل ناشر للتراث لثلاثة أعوام متتالية ١٩٩٩م ، ٢٠٠٠م ، ٢٠٠١م هي عشر الجائزة تتويجًا لعقد ثالث مضى في صناعة النشر

جمهورية مصر العربية - القاهرة - الإسكندرية
الإدارة : القاهرة : ١٩ شارع عمر لطفي موازٍ لشارع عباس العقاد خلف مكتب مصر للطيران عند الحديقة الدولية وأمام مسجد الشهيد عمرو الشربيني - مدينة نصر
هاتف : ٢٧٠٤٢٨٠ - ٢٧٤١٥٧٨ (٢٠٢ +) فاكس : ٢٧٤١٧٥٠ (٢٠٢ +)
المكتبة : فرع الأزهر : ١٢٠ شارع الأزهر الرئيسي - هاتف : ٥٩٣٢٨٢٠ (٢٠٢ +)
المكتبة : فرع مدينة نصر : ١ شارع الحسن بن علي متفرع من شارع علي أمين امتداد شارع مصطفى النحاس - مدينة نصر - هاتف : ٤٠٥٤٦٤٢ (٢٠٢ +)
المكتبة : فرع الإسكندرية : ١٢٧ شارع الإسكندر الأكبر - الشاطبي بجوار جمعية الشبان المسلمين
هاتف : ٥٩٣٢٢٠٥ فاكس : ٥٩٣٢٢٠٤ (٢٠٣ +)
بريديًا : القاهرة : ص.ب ١٦١ الغورية - الرمز البريدي ١١٦٣٩
البريد الإلكتروني : info@dar-alsalam.com
موقعنا على الإنترنت : www.dar-alsalam.com

معجزة الزواج : قال تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [سورة الروم ٢١] .

الإهداء

إلى كل المحبين والمتحابين ، حب الصدق والطهر والعفاف ، الذين ينوون ويخططون لمشروع زواج ناجح .

وإلى كل المربين والمخلصين والمدربين والناصحين للناس على الوصول إلى النجاح ، وعلى حسن اتخاذ القرار ، في أي مجال من مجالات الحياة .

وإلى ابنتي الرقيقة لينة الحبيبة أهدي كتابي هذا ، لتضع قدمها على عتبة إحدى بوابات النجاح في الحياة ، الحياة السعيدة المطمئنة التي أتمناها لكل أبناء هذه الأمة وبناتها ، لعلهم يكونوا آباءً وأمهاتٍ صالحين يُنبِتوا لهذه الأمة جيلًا ناجحًا يصنع من فشله نجاحًا ، ومن الليمون عصيرًا حلوًا بإذن اللّٰه تعالى .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَة

خلق الله الإنسان في الأرض خليفة ، وخلق له من نفسه زوجًا يسكن إليها وتسكن إليه ، وجعل العلاقة بينهما آية من آيات قدرته ، تقوم على المودة والرحمة ، وركب فيهما الدافع إلى الافتقار لبعضهم ، وعدم استغناء أحدهم عن الآخر ، وشقاوته بالبعد عنه ، والسعادة بالقرب منه ، خاصة بعد سن النضج والبلوغ .

وأقام العلاقة بينهما على أسس راسخة ، من عقد وثيق وعهد متين وحب مكين ، يتضمن هذا العقد حقوقًا وواجباتٍ متبادلة ، وأودع في قلب كل منهما عاطفةً وميلًا تجاه الآخر ، كأنه شق كيانه وصنو نفسه ، لا راحة له إلا بلقائه ولا سعادة إلا بإزائه ، وبذلك يتحقق سكن النفس وطمأنينتها ؛ لأنه عنوان كمال الإنسان واكتماله ، لم يستثنى من ذلك نبي أو رسول ، إلا من شاء الله له أن يُستثنى على غير قاعدة أو قياس .

وشاءت إرادة الله القدير ، أن ينشأ الأبناء في أحضان هذه العلاقة الطيبة ، من خلال الأسرة التي جعلها الله تعالى اللبنة الأساس للمجتمع الإنساني الرشيد ، وحرّم ما دون ذلك من

علاقات لا تلتزم بضوابط هذا العقد ومسؤولياته ، مما يعتبر نقضًا للعهد وثلم للشرف وخيانة في الأمانة ، بالإضافة إلى ما ينتج عن ذلك من مشكلات وأمراض ، تعاني البشرية اليوم من آثارها المدمرة ، ما هو واضح لكل ذي عينين .

ولهذه الأمور وغيرها ، رأيت أن أعنون لهذا الكتاب بهذا العنوان ، وأطرح موضوعه - وهو الزواج - بطريقة تعتبر تخطيطًا لمشروع ، تنطبق عليه أسس أي مشروع يريد له صاحبه النجاح ، ويرغب بتجنيبه الفشل والخذلان ، فإذا اعتبرنا أهمية نجاح المشاريع التجارية وخطورة فشلها ، واستعنا بالمستشارين والخبراء والخطط والدراسات لإنجاحها ، فالزواج وتأسيس أسرة ناجحة لا تقل خطورة وأهمية عن أي مشروع مهما كانت خطورته وقيمته .

ومن أجل تجنب الكثير والكثير من المشكلات الأسرية ، وسوء العلاقات الزوجية ، ولتجنب الفشل في تربية الأبناء على الأخلاق الحميدة والسلوكيات السديدة ، وتوفيرًا للطاقة البشرية التي يوفرها كل من الزوجين ، لتنمية ذواتهم وتحسين ظروف حياتهم ، والتفرغ لتحقيق أهدافهم ورسالاتهم في الحياة ، وتنشئة أبنائهم على النجاح بكل مضامينه وأشكاله ، رأيت أن أطرح الموضوع بشكل علمي وشرعي رصين ، يؤدي إلى تحقيق هذه الأمور كلها بقدر الاستطاعة والإمكان .

وبما أن وعي شريحة كبيرة مثقفة من شرائح مجتمعنا آخذ بالازدياد ، من خلال الأخذ بأساليب التفكير الناجح ، في معالجة كثير من قضايا حياتنا الاجتماعية والفكرية والاقتصادية ... إلخ ، وبعد تخصص عدد لا بأس به من رواد التجديد والتطوير في حياتنا الثقافية والإعلامية بقضايا مجتمعهم وهمومه ، على اختلاف صورها وأشكالها ، مما يبشر بالخير في عودة الأمة إلى تصدر عرش المجد ، في ترجيه البشرية إلى تحكيم العقل السوي والوجدان النقي ، حسب المنظومة الربانية التي تهدي البشرية إلى القيم الفاضلة والسلوك الإنساني النبيل .

وتوفيرًا لمشاعر الحب والود الأولى التي تقوم الأسرة على أساسها ، وصيانة للعقل والقلب أن يضل في حسن اختيار شريك الحياة ، بما يتلاءم مع شخصية الشريكين وأهدافهما من الحياة ، وظروف البيئة التي يتقبلانها لنجاحهم وسعادتهم ، فإن قليلًا من الجهد في حسن التخطيط وتحديد أهداف الزواج بوضوح ، يوفر كثيرًا من الفشل في حال التسرع والتعجل وسوء التدبير والتخطيط ، في إقامة هذا المشروع العظيم الخطير ، مشروع الزواج الناجح السعيد .

محمد نبيل كاظم

١٦/٧/٢٠٠٥م

الفصل الأول
التعريف بالزواج

أولا : معنى الزواج وحقيقته .

ثانيا : دوافع الزواج الرئيسة .

ثالثا : دوافع الزواج الفرعية .

رابعا : أنواع الزواج .

خامسا : الزواج والحب .

المرأة كنز : « ألا أخبرك بخير ما يكنز المرء ؟ المرأة الصالحة » رسول الله ﷺ [رواه أحمد] .

الفَصْلُ الأَوَّلُ

التعريف بالزواج

أولًا - معنى الزواج وحقيقته :

١ - المعاني اللغوية :

الزوج : البعل والزوجة - وخلاف الفرد - والنمط يطرح على الهودج .

والزوج : الاثنان - ذكرين أو أنثيين ، قال تعالى : ﴿ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴾ [النجم : ٤٥] .

والزوج : الصنف والنوع من كل شيء ، قال تعالى : ﴿ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴾ [الحج : ٥] .

والمزواج : كثير التزوج رجلًا كان أو امرأة .

والأزواج : القرناء [(١)] .

الزّواج : اقتران الزوج بالزوجة ، أو الذكر بالأنثى .

الزّوج : كل واحد معه آخر من جنسه .

والزّوج : الشيء ونقيضه : الليل والنهار ، الحلو والمر ، الرطب واليابس ... إلخ .

والزوجية : مصدر صناعي بمعنى الزواج ، يقال بينهما حق الزوجية .

---

(١) لسان العرب .

المزدوج : (في علم الأحياء) النبات الذي يحمل نوعين من الثمار مختلفي الصفات .

المزاوجة : (في علم البديع) من المحسنات البديعية ، كقول البحتري :

إذا ما نهى الناهي فلجَّ بي الهوى
أصاخت إلى الواشي فلجَّ بها الهجر (١)

٢ – المعاني الاجتماعية :

الأيم : (والأيِّم) العزب رجلاً كان أو امرأة ، بكرًا كان أو ثيبًا ، ويقال للمرأة (فارغة) .

البِكْر : من لم يسبق له الزواج ، ذكرًا كان أو أنثى ، وأول كل شيء من الولد والثمر ، ويقال للأنثى البكر (عذراء) .

الثَّيِّب : غير العذراء ، وقد سبق لها الزواج ، ويقال لها (عوان) .

العانس : من بقيت في بيت أبويها غير مزوجة .

الأرملة : (والأرمل) من فقدت أو فقد الزوج بالوفاة .

المطلقة : (والمطلق) من فقدت أو فقد الزوج بفسخ العقد (٢) .

---

(١) المعجم الوسيط .

(٢) المعجم الوسيط وفقه اللغة للثعالبي .

٣ - المعاني الشرعية :

الزواج : « عقد إباحة استمتاع بين ذكر وأنثى على وجه مشروع »

النكاح : (الزواج) : وعند أهل الأصول واللغة حقيقة في الوطء ، مجاز في العقد .

الوطء : (الجماع) : وفي اللغة واطأ : وافق - وطّأ : هيأ الشيء - الوطاءة : اللين والسهولة - الوطأة : الضغطة والأخذة الشديدة .

الخِطبة : « هي إظهار الرغبة في الزواج بامرأة معينة ، وموافقة المخطوبة أو أهلها على ذلك » .

وهي وعد بالزواج قبل العقد عليه ، جاء في المادة : (٢) من قانون الأحوال الشخصية السوري ما يلي : « الخطبة ، والوعد بالزواج » وقراءة الفاتحة ، وقبض المهر ، وقبول الهدية ، لا تكون زواجا » .

الطلاق : « رفع قيد النكاح المنعقد بين الزوجين بألفاظ مخصوصة » .

الظهار : تحريم الرجل زوجته على نفسه بقوله : « أنت عليَّ كظهر أمي » .

الإيلاء : (يمين) : « حلف زوج على الامتناع من وطء زوجته ناجزًا ، أو معلقًا على أمر » .

المهر : (صداق) : قال تعالى : ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾ [النساء: ٤] ، وله أسماء عشرة : جمعت ثمانية منها في بيت من الشعر :

صداق ، ومهر ، نحلة ، وفريضة
حِباءٌ ، وأجرٌ ، ثم عُقر ، علائق .

٤ - حقيقة الزواج :

الزواج مفهوم إنساني اجتماعي نفسي ، بينما يشكل التزاوج مفهوم حيواني (بيولوجي) ، « فإذا وقع في المستوى البشري ، كان لا شخصيًا ، ولا جزافًا ، ولا مؤقتًا .

وهو نظام اجتماعي يتصف بقدر من الاستمرار والامتثال للمعايير الاجتماعية ... لتنظيم المسائل الجنسية ، وتحديد المسؤولية لدى البالغين ، وينظر إليه كظاهرة مقدسة ، أو نظام إلهي أكدته الشرائع السماوية والكتب المقدسة ، كأساس للحياة الإنسانية .

ويتركز اهتمام علماء الاجتماع ، على المعايير والأدوار والتوقعات والقيم التي تصاحب هذه الأوضاع ، وهي العلاقات المتبادلة بين الأزواج وأفراد الأسرة ، وبدون وجود الأسرة يمكن أن ينتهي الميراث البيولوجي للإنسان بوصفه نوعًا بيولوجيًا إلى كارثة » (١) .

---

(١) د . سناء الخولي في كتابها الزواج والعلاقات الأسرية (٤٣ ، ٤٤) .

ثانيًا - دوافع الزواج الرئيسة :

ما الذي يدفع بالإنسان إلى الارتباط الزوجي ؟ سواء كان هذا الإنسان ذكرًا أم أنثى ، وقبل الإجابة على هذا السؤال لا بد أن نتعرف على الجبلة الإنسانية كما خلقها اللّٰه تعالى فيه ، هذه الجبلة ذات طبيعة رباعية التشكيل في الإنسان : فهي طبيعة بيولوجية ، نفسية ، اجتماعية ، عقلية ، لا تنفك إحداها عن الأخرى .

بينما لا نجد في الحيوان سوى الطبيعة البيولوجية فحسب ، يضاف إليها التجمع الحيواني الذي لا يرقى إلى العلاقات المجتمعية الإنسانية ، التي يحكمها إطار محدد في تحمل مسؤولية التصرفات البشرية ، ولهذا يسمى التلاقح لدى الحيوان تزاوجًا ، بينما هو في الإنسان علاقة معقدة ؛ بسبب تعدد العناصر الدافعة إليه من ناحية ، وتنوعها من ناحية أخرى ، بسبب اختلاف تجارب وأعراف ومصالح وثقافات الناس والشعوب ، ولهذا يسمى زواجًا ، يحكمه عقد يحدد مسؤوليات الحقوق والواجبات .

ولا يُظن بأن الزواج لم يعد له تلك الأهمية في العصر الحديث ، بسبب ما حل في العالم الغربي المنحل اليوم ، من تفكك أسري واجتماعي ، فهذه حالة عابرة لا يقاس عليها أولًا ، ولأن الزواج عبر التاريخ وكذلك في القبائل البدائية

إلى اليوم ، له أطره الخاصة من الأعراف والقوانين والتقاليد ثانيًا ، بالإضافة إلى ما يعاني منه الغرب العلماني ، من نتائج خطيرة وكبيرة على كل صعيد ، بسبب عدم الالتزام بالحقوق الزوجية ، التي لا يمكن أن يراعيها ويحفظها سوى عقد الزواج بالمعنى الذي شرعته الشرائع السماوية ، ولذا أردت إلقاء الضوء الساطع على هذا البحث ، لتوعية أبنائنا وناشئتنا في المنطقة العربية والإسلامية .

وللإجابة على السؤال المطروح سابقًا أقول : إن دوافع الزواج متعددة منها :

١ - الدافع البيولوجي :

يرتبط الدافع البيولوجي للزواج باكتمال نمو الإنسان ونضجه فيما يعرف بالبلوغ ، وهذا الدافع مختلف في الإنسان عنه في الحيوان ؛ إذ إنه في الحيوان محدود المدى لأنه موسمي يرتبط بفصول وظروف معينة لا يتجاوزها ، بالإضافة إلى أن موجه هذا الدافع لديه الغرائز فحسب ، بينما هو في الإنسان دافع دائم ليل نهار ، يمكنه ممارسته مرتين أو ثلاث وسطيًا في الأسبوع ، وهو لهذا سبب لدوام الجذب بين الزوجين ، ودوام ازدياد حسن العشرة بينهما ، وتحمّل تكاليف وأعباء نتائج هذه الشركة التي سماها اللّٰه تعالى ميثاقًا غليظًا ، ولهذا قالت ليلى أم مالك :

أهـوى رِضـاه وإنِّـي في مودَّتِـه
دومًا إلى آخر الأيَّام أجتهدُ (١)

وتنظِّم هذا الدافع وتشكله قوى أخرى نفسية واجتماعية وعقلية ، تدخل في تركيب آليته ، مما يرقى به عن أن يكون دافعًا بيولوجيًا صرفًا كما هو عند الحيوان ، على الرغم من كونه أقوى الدوافع إليه ، وهذا الدافع لا يرتبط بالتكاثر والإنجاب فحسب وإن كان هذا الأخير يتفرع عنه ونتيجة من نتائجه ؛ لأن العقيم والعاقر يمارسه وإن كان غير قادر على الإنجاب .

٢ - الدافع النفسي :

يعتبر الدافع النفسي للزواج من أجمل الدوافع الإنسانية للسلوك البشري بعد حب اللّٰه تعالى ، لارتباطه الشديد بالقضايا الوجدانية والشعورية ، وما يحيط بها من إحساسات جمالية ، وارتباطات بالقيم الأخلاقية ، وإدراكات ذوقية رفيعة المستوى ، وتفاني عظيم في إرادة الخير للطرف الآخر ، بالإضافة إلى الوفاء المنقطع النظير تجاه الحبيب ، ولهذا قال أحدهم :

خيالكَ في عيني وذكرك في فمي
ومثواكَ في قلبـي فأينَ تغيب ؟

(١) في كتاب الحب الخالد (١٠٣) .

وهذا الحب يرقى بالسلوك الإنساني إلى مستوى رفيع من الحماس والإخلاص ، الذين ينعكسان على الأبناء في إطار التنشئة الأسرية السليمة ذكاءً اجتماعيًا ونموًا تربويًا ناجحًا وبطولة مشرفة ، تقول المستشرقة الألمانية المنصفة (زيغريد هونكه) [1] عن ذلك : « ونعجب أشد الإعجاب بقصص النساء في بلاط بني أمية ، وقد أمعنّ في الدلال ، وأسر قلوب الرجال ، ورحن يُثِرن حماسهم ليأتوا بأعمال بطولية » ترد في ذلك على زعم الغرب القائل : بظلم المرأة في الإسلام .

وأشار إلى هذا الدافع النفسي قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ [الروم: ٢١] وهو ما عبر عنه بالسكن ويقصد به السكن النفسي ، ويتشكل هذا الدافع بالإضافة إلى أساسه الفطري ، من قيم وثقافات الشعوب وآدابها ، وفي هذا الإطار تختلف نظرة الأمم والشعوب والناس إلى الزواج ، والأهداف التي يراد تحقيقها من خلاله .

وهذا الدافع يولد ما يعرف بالحب الطاهر العفيف الحلال ، الذي شوهه التخلف والتراجع الحضاري ووسائل الإعلام المعاصرة ، التي طمست المعالم الحقيقية الإنسانية

(١) في كتابها (الله ليس كذلك) تحت عنوان : الإسلام في الحب (٦٨) .

للحب الحلال الذي يأبى أن يدنسه غدر أو خيانة .

٣ - الدافع الاجتماعي :

الدافع الاجتماعي لتكوين الأسرة دافع فطري يتعلق بالكينونة الاجتماعية للإنسان ، كونه كائن اجتماعي بالطبع ، لقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ .. ﴾ [الحجرات : ١٣] .

فالعلاقات الإنسانية تملأ حيزًا مطلوبًا في السلوكيات الإنسانية لا غنى عنها ، والزواج خير ما يسد هذا الفراغ ؛ لأنه وراء مجمل السلوكيات البشرية الصادرة عن الدوافع الاجتماعية ، فيما يتعلق بحاجة الناس إلى الأبناء ، لبقاء النوع من ناحية ، واستخلاف الأجيال آباءهم من ناحية أخرى ، وتحقيق الشرف والمنزلة الرفيعة من ناحية ثالثة ، بالإضافة إلى الإصهار للآخرين ، وإنجاب الأبناء الذين يذودون عن الوطن والحمى ، وتحقيق الازدهار الاقتصادي والحضاري في الأمم ، ولهذا قرن بينهما القرآن الكريم في قوله : ﴿ ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ .. ﴾ [الكهف : ٤٦] .

وبما أن سلوك الإنسان له إطار اجتماعي ، يرقى به من خلال العلاقات المقننة ، والعادات والتقاليد والأعراف ، فإن ضوابط القيم والقوانين والثقافات - كما ذكرنا سابقًا - ترقى بالسلوك الجنسي الإنساني عن أن يكون مجرد فعل

(بيولوجي) محض ، ولهذا وضعت العقوبات والضوابط في سائر المجتمعات والشرائع على انتهاك حفظ النسل والعرض ، الذي يعتبر من مقاصد الشريعة الخمس الأساسية .

واختلف الناس في أعرافهم الاجتماعية حول إجراءات الزواج ، إفراطًا وتفريطًا ، ولذا وضعت الشريعة الإسلامية قواعد العدل والتوسط في هذه الأمور بما يعود على الأسرة والزوجين بالسعادة والهناء .

٤ - الدافع العقلي :

الدافع العقلي يشكل آلية تحمل مسؤولية السلوك الإنساني ؛ سواء كان هذا السلوك غريزي أو نفسي أو اجتماعي لدى الإنسان ، لأن العقل هو مناط التكليف والمسؤولية ، ولأن السلوك يسترشد بالقناعات والقيم والمبادئ التي يسلم بها العقل ، وجعلناه أحد دوافع الزواج ؛ لأنه يسيطر على السلوك الذي يكون وراء الفكرة الرئيسة التي يهدف إليها الزواج ، ولهذا في حال وضوح الرؤية العقلية والأهداف المطلوبة من الزواج يتحكم الإنسان في الضوابط التي تضبط له هذا الزواج بما يحقق الأهداف المنشودة .

ويحق لسائل أن يسأل : إن كان تأثير العقل إلى هذا الحد! فلم يغيب عن التصرفات الجنسية لبعض الطائشين والمراهقين والفاشلين ؟ أقول : إن السبب في ذلك هو التربية

والتنشئة الاجتماعية الخطأ من ناحية ، وغياب القيم والضوابط التي تحكم العملية من ناحية أخرى ، بالإضافة إلى القيم والأعراف التي تهوّن من انتهاك هذه الضوابط .

ذلك ، فضلًا عن الدعاية والترغيب فيما يضادها من السلوكيات المنحلة ، التي تدعو إليها فلسفة المنفعة واللذة المادية الغربية ، مع ما يرافق ذلك من تحريض للسلوك (البيولوجي) الحيواني الصرف ، بغض النظر عن حقوق الآخرين من زوج ، وولد ، ومجتمع ، وأمة ، ووطن ، فضلًا عن أثر ذلك على الصحة والأخلاق .

وهذا ما يفسر لنا ضعف تأثير العقل ، في تحكمه بتصرفات الناس في الغرب ، في القضايا الجنسية والأخلاقية ، مما يجعل بلادهم أكثر البلاد عرضة للاغتصاب والشذوذ والجرائم الجنسية ، بالإضافة إلى ندرة العفاف والعذرية والوفاء الزوجي عندهم .

ولهذا حذّر الإمام علي ﷺ من أثر ضعيفة العقل على الرضيع في قوله : « لا تسترضعوا الحمقاء ولا العمشاء ، فإن اللبن يعدي » [1] ، ويعتبر العقل أهم عنصر في زينة المرء ، وكثيرًا ما يتزوج الناس بناء على ما يتحلى به الطرف الآخر من رجاحة العقل .

(١) كتاب المستطرف (٢/٤٧٨) .

وقد قيل للحسن بن علي : فلان يخطب إلينا فلانة ، فقال : أ موسر من عقل ودين ؟ قالوا : نعم ، فقال : إذن فزوجوه .

ثالثًا - دوافع الزواج الفرعية :

١ – تقدير الجمال :

خلق اللّٰه الإنسان في أحسن تقويم ، وأبدع العالم من حوله في أجمل صورة ، وأُخبِرنا : « **بأن اللّٰه جميل يحب الجمال** » [1] ، والجمال نوعان : داخلي ذاتي وخارجي كسبي ، نتيجة القيم الشخصية والطهارة الروحية يظهر أثره بإحساس داخلي ، وجمال خارجي خلقي أو مصطنع يظهر أثره بالحواس الخارجية ، والجمال الحقيقي ما جمع بين كلا الأمرين معًا ، وهذا يعتبر أحد الأمور التي يتفاضل بها الناس فيما منحهم اللّٰه من نعم تستحق الشكر عليها .

والجمال مطلب شرعي ، واعتباره أحد الدوافع الفرعية للزواج لا يقلل من أهميته ، على رغم اندفاع الناس والشباب والأزواج إليه ؛ وهو أمر نسبي ، يتفاوت الناس في معاييره ، إلا أن هذا ليس بكافٍ لجعله من الدوافع الرئيسة للزواج ؛ لسبب يسير ألا وهو أنه غير كافٍ للاقتران بامرأة مهما كانت جميلة ، إذا كانت لا تحقق إشباع الدافع

(١) رواه مسلم عن ابن مسعود ﷺ .

(البيولوجي) الجنسي من ناحية ، أو كانت باردة برودة مرَضِيَّة ، أو مصابة ببله أو عته أو جنون .

ولكن هذا لا يمنع من طلب الجمال والسعي إليه في الزواج ، بل إن من أمتع متع الزواج التمتع بجمال شريك الحياة ، وتكحيل العين برؤيته صباح مساء ، بل إن رؤية الإنسان لجمال نفسه غير ممكنة بغير مرآة ، ولهذا قال النبي ﷺ : « **إن أحدكم مرآة أخيه ..** » [1] ، والزوجة هي خير من يرى الإنسان في عيونها جمال نفسه ، بالإضافة إلى الرؤية الذاتية ، ولهذا اعتبر رسول الله ﷺ الجمال أحد دوافع الزواج المشروعة ، في قوله عليه السلام : « **تنكح المرأة لأربع ؛ لمالها ، ولحسبها ، ولجمالها ، ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك** » [2] .

قال الإمام الغزالي : « وما نقلناه من الحث على الدين وأن المرأة لا تنكح لجمالها ، ليس زجرًا عن رعاية الجمال » [3] ، وقال ابن حجر العسقلاني : « يؤخذ منه استحباب تزوج الجميلة .. » بل ندب إباحة النظر إلى المخطوبة لمراعاة اعتبار الجمال في المرأة ، لأنه أسكن لنفسه ، وأغض لبصره ، وأكمل لمودته .

(١) أخرجه أبو داود عن أبي هريرة ﷺ .

(٢) أخرجه البخاري ومسلم وآخرون عن أبي هريرة ﷺ .

(٣) المفصل في أحكام المرأة والبيت المسلم د.عبد الكريم زيدان (٤٦/٦) .

وقد دقَّ فقه الإمام أحمد بالنظر إلى هذه المسألة ، في قوله : « إذا خطب رجل امرأة سأل عن جمالها أولًا ، فإن حُمِد سأل عن دينها ، فإن حُمِدَ تزوج ، وإن لم يحمد يكون ردًّا لأجل الدين .. لا لأجل الجمال » (١) .

ولقد رغَّب النبي ﷺ في طلب الجمال صراحة في قوله : « **خير النساء التي إذا نظرت إليها سرتك ، وإذا أمرتها أطاعتك** .. » (٢) ، وما أمرنا بحسن التغذية ، ورعاية الصحة والتداوي ، وحسن الوضوء والرياضة والصلاة ، والنظافة العامة والطهارة ، بالإضافة إلى الصدق وحسن المعاملة إلا ليتحقق لنا أعلى درجات الجمال الجسدي والروحي معًا .

ولو حللنا أسباب وقوع كثير من أبنائنا اليوم في أخطاء سلوكية وانحرافات أخلاقية فيما يتعلق بالجنس والجنس الآخر ، لوجدنا أن الجهل بالقيم الجمالية التي يتمتع بها الإنسان ذكرًا وأنثى ، وخاصة فيما يتعلق بجماليات المرأة ، أحد أهم أسباب هذا الانحراف ؛ لأن حصر الثقافة الجنسية ومحدوديتها في إطار ضيق وحسي محدود ، يوجه الإدراك لدى الجنسين إلى هذا الموضوع بصورة ليس فيها أي تقدير للقيم الجمالية المعنوية ، التي لا يمكن تصورها بدون أخلاق

---

(١) شرح منتهى الإرادات (٣/٥) ، وغاية المنتهى (٣/٤) .

(٢) أخرجه أبو داود عن أبي هريرة ﷺ .

وقيم فيها سمو عذري نبيل ، كان يتمتع به العرب حتى في جاهليتهم .

ووقائع التاريخ تشهد على ما أقول ، حيث كان الناس يتغزلون بنبل المرأة وعفتها ولا يتصورون جمالها بغيره ، وأشعار العرب في العصرين الجاهلي والإسلامي أكبر شاهد على ذلك ؛ لأن إدراك الجمال وفهم أجزائه ، أدعى إلى تقديره واحترامه .

بينما نرى اليوم هذا الأمر محصورًا بالأمر الحسي البحت من ناحية ، بالإضافة إلى الجهل بمضامين نعم الله علينا فيه ، مما يدفع بالشباب والفتيات إلى الجهل بما يتمتعون به من جمال حقيقي ، ولو عُرِّفوا بشيء منه ، فإن هذه المعرفة سطحية وإجمالية وحسية ، لا تدفع إلى تقديره بما يوجب احترامه وحفظه ، وكما يقال : فإن الإنسان عدو ما يجهل ، وفي فقرة تالية تتحدث عن مقدمات الزواج والخطبة ، سنتحدث عن بعض الصور الجمالية التي ذكرها العرب في المرأة إن شاء الله تعالى .

٢ - الإنجاب والولد :

يعتبر الإنجاب من الدوافع الأساسية للزواج ؛ لأنه أحد ثمرات الدافع (البيولوجي) لدى الإنسان ، وغريزة الأبوة والأمومة غريزة أصيلة فيه ، لأنه يحقق بقاء النوع الذي يعتبر

أحد دوافع الحياة ، ولكن ليس شرطًا أن يظهر هذا الدافع لدى الراغب في الزواج للوهلة الأولى ، إلا أنه يظهر بوضوح وبقوة بتقدم الحياة الزوجية ، ولقد أشار إليه القرآن الكريم بقوله تعالى : ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا .. ﴾ [الكهف : ٤٦] .

وهذا الدافع له علاقة كبيرة بقضية الاستخلاف ، لأن الإنسان فطر على حب نقل ميراثه المادي والمعنوي إلى من يمد في ذكراه ، لأن حب الخلود أحد جواذب حب الحياة ، والولد خير من يحقق له ذلك ، وفي الأسرة التي يقل عدد أبنائها أو ذكورها يكون أقوى ، وربما يدفع بأبنائها إلى الزواج المبكر .

ولقد رغب الشرع بزواج المرأة الولود في حديث : « **تزوجوا الولود الودود** .. » (١) ، لأن الغرض من الإنجاب بالإضافة إلى ما ذكرنا ، أنه يزيد قوة الترابط بين الزوجين ، ويمكِّن العقد الذي بينهما ، وتتسع دائرة اهتمامات الطرفين من خلال حب الأبناء ، ورعاية مصالحهم وتربيتهم ، وتتوسع وتتنوع دائرة المشاعر الوجدانية من خلالهم ، وتعرف قدرة المرأة الإنجابية من خلال أسرتها وأهلها وأقاربها ، ويكره تخيُّر العقيم إلا إذا كان طبقًا لمصالح

(١) أخرجه أبو داود عن معقل بن يسار ﷺ .

محددة مرغوبة لذاتها .

٣ - المصاهرة والنسب :

المصاهرة والنسب هي أحد الصور التطبيقية للدافع الاجتماعي للزواج ؛ لأنها تمتن العلاقات الاجتماعية الخاصة بالأسر ، وتعلو بالحسب النازل ، وتقوي الحسب الضعيف ، وتثبت الحسب المعرض للاهتزاز ، من خلال تحالفات أسرية تنشأ عن طريق الزواج ، فتزداد العلاقات الاجتماعية متانة من هذه الناحية عن طريق الزواج .

وربما كانت الصداقات سببًا في هذه المصاهرات ، وربما وصلت إلى إطار التحالفات العشائرية والقبلية ، ولكن هذه الأمور يبقى تأثيرها في المناطق الريفية أو القبلية ، ويضعف في المناطق المدنية ، والمدن ، ولدى المثقفين .

وأشار إلى ذلك القرآن الكريم بقوله : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ﴾ [الفرقان : ٥٤] ، لكن المقصد الأول من حسن اختيار الزوجة النسيبة ، الوقوع على الفتاة الأصيلة ، ذات الشرف والخلق ، لأن الفتاة النسيبة في الغالب تكون مستمسكة بالقيم والأعراف ، ولهذا قال عمر ﷺ : « تعلموا أنسابكم تعرفوا بها أصولكم » فتصلوا بها أرحامكم »[1] .

(١) المستطرف (٢/٢٦) .

والحسب في الأصل يعني الشرف بالآباء ، وما يعده الناس من مفاخرهم ، وقيل : الحسب يعني الفعال الحسنة ، والنسب عراقة الدم والأسرة ، وصلتها بشخصية تاريخية معروفة مشهورة . وكثير من الناس في عالمنا العربي يرفعون أنسابهم إلى الرسول ﷺ أو أحد الصحابة ، وإن كان هذا الرفع ، لا يستند إلى سند متصل بطريقة علمية صحيحة . ولهذا قال رسول الله ﷺ : « **أنتم بنو آدم وآدم من تراب** » [(١)] .

والمصاهرة ليست قضية اعتبارية مجردة ، بل تدخل في اعتباراتها قضايا اجتماعية واقتصادية ، عبر عنها بعض فقهائنا باسم الكفاءة ، كعامل من عوامل نجاح الحياة الزوجية ؛ لأن الأسرة في أول نشأتها بحاجة ماسة إلى الدعم من قبل أسرتي الزوجين معًا .

ولهذا كان إهمال الزوجين كسب رضا أسرتيهما ، من أكبر العوامل في جعل زواجهما في مهب الريح ، عند تعرضه لأول ضائقة اقتصادية ، أو مشكلة حياتية ، وهذا حال الزواج في البلاد الغربية ، على عكس الحال في الزواج الذي يتضمن مشاركة اجتماعية ؛ لأن هذه المشاركة تعين على استمراره ودوامه ، ماديًا ومعنويًا .

---

(١) أخرجه أبو داود عن أبي هريرة ﷺ .

٤ - المال والغنى :

المال يشكل في حده الأدنى انطلاقة أساسية لنجاح الزواج ، لكنه لا يعتبر أمرًا جوهريًا لنجاحه ، والسبب في ذلك أن كفاءة الزوجين وصفاتهم الشخصية كانت ومازالت هي رأس مال الأسرة الوليدة الجديدة ؛ ولذلك يتذمر كثير من الشباب حين يسأل أولياء الفتيات عن الأمور المالية ، وعن كسب الشباب المتقدمين لخطبة بناتهم .

وحقيقة الأمر بغض النظر عن الخطأ في المغالاة بالمهور ، فإن الآباء لا يسألون عن مال الشباب استفسارًا عن القدرة المالية ، وإنما للسؤال عن القدرة الكسبية ، وعن حيوية شخصية الشاب في تحمله للمسؤولية ، وقدرته على الإنفاق على الأسرة التي يريد إقامتها ، ويزداد إلحاح أهل الفتاة اليوم في السؤال عن هذه الناحية ، بسبب جهلهم شخصية الخاطب ، بعد توسع العمران وزيادة اغتراب الناس عن بعضهم ، للتقوقع الحاصل بين جدران البيوت ، وزيادة التفكك الاجتماعي في بلادنا ، بسبب الحداثة وتراجع الترابط الأسري والاجتماعي ، الذي كان يسهل عملية التواصل والتعارف .

كما أن سرعة تغير وغياب كثير من القيم الأخلاقية والاجتماعية ، التي كانت تحيط بالأسرة حفظًا ورعاية ، جعل ظاهرة الطلاق أمرًا بارزًا كنتيجة طبيعية لهذه

المعطيات ، بل هناك شعور لدى بعض الآباء ، بأن بناتهم لا يملكون المؤهلات المكينة للحفاظ على الزوج والأسرة ، نتيجة غموض مفاهيم الحياة الزوجية الناجحة لدى الأبناء عمومًا ، مما يدفع بهذا الشعور إلى الاستمساك بالحقوق المالية كضامن لاستمرارية الزواج ، مع العلم بأن هذا الأمر يزيد في أعباء ومشاكل الزواج .

وهذه المعطيات لا ينظر إليها من طرف الزوجة وأهلها فحسب ، بل هناك اتجاه اليوم للنظر إلى هذه المسألة من الزوج وأهله كذلك ، بحيث يبحثون عن زوجة مقتدرة بنفسها أو أهلها ، بحجة الضائقة الاقتصادية التي تعاني منها البلاد والناس ، فيبحثون عن الموظفة والغنية ، بحجة تحقيق التعاون بين الزوجين على معيشة الأسرة وتحسين أحوالها ، ولا يستنكر هذا التفكير في كثير من البيئات العربية المكتظة ، التي تعاني من ظروف الغلاء في عواصمها ، إذا كان التفكير نوعًا من العقلانية واتخاذ الأسباب ، إلا أن الذي يُستنكر هو تحول المفاهيم والقيم الأصيلة ، إلى ما يضادها من قيم مادية نفعية غريبة عن ثقافتنا وأصالتنا ، التي كانت تقول : « إذا سأل الرجل عن مال المرأة فهو لص » .

إلا أن بعض الفقهاء اعتبر المال أحد عناصر الكفاءة بين الزوجين ، ليس لذات المال ، وإنما لكونه مظهرًا من مظاهر القدرات الشخصية ، والحياة الواقعية ، يقيسها الفرد

بحسب معرفته باحتياجاته واحتياجات أهله ، ولا يستنكر التفكير بالمال والغنى ، شرط أن لا يعتبر لذاته صنمًا ، بدليل وروده في حديث النبي ﷺ : « **تنكح المرأة لأربع .. ولمالها ..** » [1] .

والضابط كما سنرى لاحقًا ، أن يكون أساس أي اختيارات الدين والخلق ، بالإضافة إلى أن أهداف الزوج والزوجة في الحياة هي التي تحدد نوع الاختيار الذي ينبغي الوقوع عليه حين اختيار شريك الحياة ، لأن الحياة قرارات تحددها اختيارات ، فإذا كانت واقعية منطقية متلائمة فذلك النجاح ، فذلك النجاح .

٥ - السياسة والفكر :

صحيح أن موضوع الزواج يتعلق بالمشاعر ، أكثر من تعلقه بالفكر والمنطق ، إلا أن هذه المشاعر لها الغلبة في النهاية ، حتى في تبرير خيارات الحسابات المنطقية فيما يتعلق بموضوع اختيار شريك الحياة للزواج ، لكن قوة العقل والفكر في المبادئ والقيم تحركها مشاعر وأحاسيس بنفس الدرجة ، خاصة لدى المتحمسين لسياسة وفكر معينين ، فيندفعون تلقائيًا إلى التوجه نحو البيئة الاجتماعية لهذا الفكر لاختيار شريكة الحياة منها .

---

(١) سبق تخريجه .

ولكن إذا لم يتم هذا الاختيار حسب الأسس التي سنستكمل ذكرها ، لا يعني أن مجرد الفكر يكوّن علامة كبيرة للنجاح ؛ لأن أصحاب الفكر الواحد يختلفون ، وقد يختلفون بشدة ، إذا لم يكن هناك تحلٍّ بأدب الخلاف والحوار .

وزواج السياسة والفكر كثيرًا ما يلجأ إليه الأعلام ، من الملوك والرؤساء والقادة ، وبشكل مقصود محسوب ، ويلجأ إليه الأتباع من خلال التأثر ، بشكل غير مقصود ، ولقد فعله رسول الله ﷺ أكثر من مرة ، منها زواجه من رملة بنت أبي سفيان ﵄ ، ومن جويرية بنت الحارث ابن ضرار المصطلقي .

ويمكننا أن نجزم أن جميع زواج النبي ﷺ كان مبنيًا على الفكر والسياسة ، إلا أنه بوحي سماوي ، كما أخبر النبي ﷺ في حديث : « **ما تزوجت شيئًا من نسائي ولا زوجت شيئًا من بناتي إلا بإذن جاءني به جبريل عن الله ﷻ** » [1] .

ورد في حياة الصحابة (١/ ١٧٤) « أن رسول الله ﷺ أمر عبد الرحمن بن عوف لمّا أرسله إلى دومة الجندل ، فأسلم سيدها الإصبغ بن عمر الكلبي ، أن يتزوج ابنته تماضر » .

---

(١) السيرة الحلبية (٣/ ٣٢٥) والحديث ضعيف الإسناد في كنز العمال عن أنس .

ولقد صرح كثير من الجنوبيين في السودان للسيد عبد الحليم الخفاجي حينما زار الجنوب عام ١٩٩٢م : « أن لو تصاهر أهل الشمال في السودان ذوو الأصل العربي بقبائل الجنوب من الزنوج ، لانحلت مشكلة جنوب السودان من أقصر الطرق »[١] .

لكن يبقى زواج الفكر والسياسة مرتبط بحالة راهنة ، إذا لم يدعَّم بقوة الانتماء للمبادئ والقيم من ناحية ، وحسن الاختيار من ناحية أخرى ، فإنه يصبح في مهب ريح الحالة الراهنة ، والمصالح الضيقة ، والتقلبات المقلقة .

٦ - الدين والخلق :

يعتبر الدين والخلق أحد أهم العناصر الأساسية لدوافع الزواج ؛ لأنه تشرى بهما الدنيا التي هي عاجل نعيم الله للمؤمن ، والآخرة التي هي آجل نعيم الله له ، وهما في الأهمية أكثر تأثيرًا من كل دوافع الزواج الأخرى ، لأنهما الأساس والإطار الذي يشكل محتوى كل الدوافع ، بل هما السور والحصن الذي يحفظها من التغير والانحراف ، ولذا يحرص عليهما أكثر الناس ، وأوصى بهما رسول الله ﷺ .

وربما وجدت الفاجر المستهتر ، ومن لا دين له ، إذا أراد الزواج حرص على أن يقترن بذات الدين والخلق ، ولو سألته

(١) في كتابه كواكب حول الرسول .

عن ذلك لقال لك : لقد جاءت ساعة الجد في اختيار ربة أسرتي وأم أولادي .

ولم أجعل الدين والخلق في مقدمة العناصر السابقة ، إعمالًا لفقه الإمام أحمد ، لأنه لا يقارن به أي عنصر من العناصر المذكورة ، ولا يستبدل بأي منها ، وبالتالي لا يمكن الاستغناء عنهما في أي زواج ، إلّا باء بالفشل والبوار ، وجُعِلا معًا لأنهما يشكلان إطار النجاح ، ونستطيع أن نقول من خلال وصية النبي ﷺ بهما معًا في أكثر من حديث : أن الدين والتدين هو حسن العلاقة مع اللّٰه ، وأن الخلق هو حسن العلاقة مع الناس .

والدليل على ذلك تفضيل النبي ﷺ أسامة بن زيد على أبي جهم ومعاوية بن أبي سفيان وهم جميعًا من أصحابه ﷺ حينما استشير في أمر الزواج ، معللًا ذلك بسمات أخلاقية وكسبية متفاضلة بينهم ، مع أنهم في الدين والتدين سواء ، ويخطئ كثير من الشباب في تصورهم لكفاءتهم للزواج من الأخريات ، لمجرد الدين والخلق ، ويتناسوا أن هذا الأمر هو إطار لما عداه من الدوافع والصفات الأخرى - الرئيسة والفرعية للزواج - لأن الدين هو النظام العام والدستور ، الذي لا يلغي المبادئ والقوانين الأخرى ، الواقعية والدنيوية والاجتماعية التي يعمل بها الناس ، بل يكون الحاكم عليها والمهيمن والموجه .

والدليل الواضح الذي لا لبس فيه على هذه المسألة ، الحديث الصريح الذي أخبر فيه المصطفى ﷺ عن دوافع الناس للزواج قائلًا : « **تنكح المرأة لأربع : لمالها ، ولحسبها ، ولجمالها ، ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك** » [1] ، وتأخير النبي ﷺ ذكر الدين والخلق في بعض الأحاديث ، إلى آخر الخيارات التي يرغب فيها الناس عادة ، لجعلهما إطارًا لها وضابط ، وهذا له دلالة كبيرة على جواز هذه الخيارات شرط أن يحوطها الدين والخلق .

وقال النبي ﷺ - ناصحًا فاطمة بنت قيس - لما تقدم لها معاوية بن أبي سفيان : « **صعلوك لا مال له** .. » [2] وقال عن أبي جهم : « **لا يضع عصاه عن عاتقه** .. » [3] ونصحها بالزواج من أسامة بن زيد ، بينما نصح ولي أمر فتاة أخرى ، بأن يزوجها من تحب ويهوى قلبها ولو كان فقيرًا ، وهذه الأمور بمجموعها تدل على أن الأمور تقدر بقدرها ، وأن عناصر الاختيار والنجاح في الزواج تختلف من حالة إلى أخرى ، ومن شخص لآخر .

لكن المشكلة اليوم هي شدة تأثير العوامل المادية على الحياة عمومًا ، وعلى الحياة الأسرية والزوجية خصوصًا ، مما

(١) السيرة الحلبية (٣/٣٢٥) .

(٢) السيرة الحلبية (٣/٣٢٥) وشرح صحيح مسلم للنووي .

(٣) شرح النووي على مسلم .

يدفع بكثير من الناس أن يتحول سلوكهم في الدين والخلق إلى شعار يفتقد الروح الحقيقية في الامتثال والتطبيق ، مما يجعلنا نؤكد على الانتباه الشديد إلى قضية الأخلاق في التدين ، وهكذا فعل رسول الله ﷺ .

رابعًا - أنواع الزواج :

لا نريد في التخطيط لمشروع الزواج الناجح أن نذكر أو نستقصي أنواع الزواج الكثيرة التي عرفها الناس في الجاهلية والإسلام ، كما ذكرتها أمنا عائشة رضي الله عنها في حديثها المشهور ، لكن هذا لا يمنع أن نناقش بعضًا من أنواع الزواج ، التي عرفها الناس في العصور الأخيرة ، لبيان آثارها ونتائجها الاجتماعية والصحية ، حتى يكون أبناؤنا على دراية من أمرهم إذا تعرضوا لها أو سئلوا عنها ، منها :

١ - الزواج المنفرد :

الزواج المنفرد أو ما يسمى بالزواج الواحدي ، هو الأصل العام للزواج ، وهو أكثر أنواع الزواج نجاحًا واستقرارًا ، وتوليدًا لمشاعر الحب والإخلاص ، وما قيل في الشعر والغزل والغرام يقصد منه هذا النوع من الزواج ، وهذا لا يعني افتقار الأنواع الأخرى منها ، إلا أن أبلغها وأوضحها في هذا النوع .

ولقد أشارت الآيات الكريمة في القرآن إليه بقول الله

تعالى : ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا ﴾ [النساء: ٣] ، ولذا ينصح الشباب بالتروي في الزواج الأول لإنجاحه ، لما له من عظيم الأثر على نفسية الإنسان ، وإقباله على الحياة بعنفوان ونجاح .

٢ - الزواج المتعدد :

الظروف المتفاوتة بين الناس ، واختلاف أنماطهم وقدراتهم على حسن الاختيار من أول مرة ، وتنوع الأسباب المؤدية إلى اتخاذ القرار الناجح أو الفاشل في قضية الزواج ، وما يعترض الحياة من أقدار مغيّبة ، هي التي تلجئ الناس إلى زواج آخر ، مع بقاء الزوجة الأولى في عصمة الرجل مروءة ، أو تحملًا للمسؤولية ، أو لأنه لا ذنب لها في هذه الأقدار ، وبالتالي يكون التعدد في هذه الحالة علاجًا لمشكلة ، قبل أن يكون هو سببًا لها ، ولذا وجد التعدد في سائر الشرائع والملل ، وعرف عند سائر الشعوب والأقوام .

وكما يقدر الدواء بمقدار الداء ، فكذا تقدر الحاجة إلى التعدد بمقدار استعصاء المشكلة ، أو حاجة الزوج الحقيقية إليه ؛ كي لا ينقلب التعدد من نعمة إلى نقمة ، ومن حل لمشكلة إلى مشكلة جديدة ، والتعدد واقع بين بعض الناس لا محالة ، وأي تضييق على التعدد في التشريع أو الأعراف ، سيفتح الباب له في غيابه ، وهذا ما يوقع الناس في الحرام والظلم والضلال ، فمن الخير أن تكون حلول

مشاكل الزواج على ضوء التشريع في رعاية المجتمع من أن تكون بدونه وفي غيابه .

وينبغي ألا يتسرع الإنسان في زواجه الأول ، بناءً على مقولة أن في التعدد علاج ، فكثير من المتسرعين في زواجهم الفاشل الأول ، لا يجدون بغيتهم في الزواج الثاني والثالث والرابع ؛ لأن عورات الإنسان في هذه الحالة تنكشف جملةً وتفصيلًا ، مما يجعل النساء المكتملات في نفرة عنه ، وبالطبع لا يعمم في مثل هذه المسائل شيء ؛ لأن النجاح حليف من يسعى إليه ويدفع تكاليفه .

وكلما ارتقت أخلاق الناس ووعيهم وثقافتهم الزوجية ، كلما تحسنت قراراتهم في حسن الاختيار ، وأصبح قرار الزواج قرار مصير وسعادة ، وكلما انعكست هذه الأمور كلما انعكست نتائجها إلى فوضى أسرية ، وتفكك اجتماعي ، وانحراف الأبناء ، وفقدان للسعادة والاستقرار .

ومع أن التعدد شُرِعَ حلًا لمشكلات اجتماعية إنسانية ، إلا أن بعض الناس يجعل منه مشكلة بحد ذاته ، فيصبح كالقائل داوني بالتي هي الداء ، ومن هؤلاء من وصفه الشاعر الدمشقي عبد الله العلمي بقوله :

تزوجت اثنتين لفرط جهلي

وقد حاز البلى زوج اثنتين

فقلت أعيش بينهما خروفا
أنعم بين أكرم نعجتين
فجاء الأمر عكس الحال دومًا
عذابًا دائمًا ببليتين
رضا هذه يحرك سخط هذي
فما أخلو من إحدى السخطتين

يقول الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله في كتابه « هكذا علمتني الحياة » : أقوى الناس على تحمل المتاعب من يتزوج اثنتين ، وأسرع الناس إلى الهلاك من يتزوج ثلاثًا ، وأقرب إلى الجنون من يتزوج أربعًا ، وليس في إباحة اللّٰه لنا ما أباح ما يحملنا على التعرض للمتاعب من غير ضرورة ملجئة .

٣ - الزواج بأجنبية :

يتعدد مفهوم الأجنبية اليوم باعتبارات متنوعة ، منها اختلاف الدين ، واختلاف اللغة ، واختلاف الوطن ، إلا أن الإسلام هدم الحواجز بين الناس وأبقى على حاجز الفكر الذي هو الدين ، لأن الدين أسلوب حياة ، وموجه للسلوك ، فالمسلم والمسلمة كل منهما كفؤًا للآخر ، بغض الطرف عن تباعد الأوطان ، وتباين الألوان ، واختلاف الألسن ، وهذا ما أكده قوله ﷺ : « **فاظفر بذات الدين تربت يداك** » [1] .

(١) السيرة الحلبية (٣/٣٢٥) .

إلا أن تنوع الحياة اليوم وتطورها ، يدفعنا أن نرصد عوامل الاختلاف بين الزوجين ، لما لهما من كبير الأثر ، ليس على علاقة الزوجين ببعضهما فحسب ، بل لتأثيرهما الكبير على الأبناء وحياة الأسرة ككل ، فالذي لا يبالي بأن تكون زوجته أجنبية الدين « نصرانية أو يهودية » لا يحسب حساب مستقبل أسرته وأبنائه ، لا بل مستقبل زوجته الأجنبية تلك ؛ لأن اختلاف الدين يعني اختلاف الفكر ، واختلاف القيم المتعلقة بكثير من أنواع السلوك المرتبطة به .

فإذا كان اتحاد الدين بين الزوجين ، لا يحمي في كثير من الأحيان من الاختلاف ، ولهذا أضاف الشارع إلى الدين الخلُق في قوله : « **إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه ..** » [1] ، فكيف سينجح زواج نزع منه العنصر الأول من عناصر نجاحه ؟

وقد يقال ما قاله ابن العاص : « أهو حرام يا أمير المؤمنين ؟ فقال لا ، ولكن ... » ، صحيح أن الإسلام أباح مثل هذا الزواج ، إلا أن الإسلام راعى في ذلك عالميته وسماحته والظروف ، لكن لم يأمر أتباعه أن يرموا بأنفسهم في مهامه المهالك بلا تروٍّ ولا حساب .

والأمر الآخر الذي ينبغي أن يقال في مثل هذا النوع من الزواج : أن الكتابية المقصودة به ما كانت محصنة متعففة ،

(١) أخرجه الترمذي في سننه عن أبي حاتم المزني .

واليوم نقول لشبابنا : أن جمعيات مكافأة العروس العذراء في الغرب ، قد أغلقت أبوابها منذ زمن بعيد ، بالإضافة إلى أن أخلاق الإسلام كانت تنتشر حيث يصل أتباعه .

والتجارب الفاشلة العديدة التي مر بها كثير من أبنائنا في الغرب ، وما عانوه من زوجاتهم الأجنبيات ، مما انعكس أثره على عدم ارتوائهم العاطفي من ناحية ، وحرمان أبنائهم اللغة الأم التي ينتسبون إليها من ناحية أخرى ، بالإضافة إلى ازدواجيتهم في الانتماء ، مما يدفعهم إلى فقدان الهوية ومن ثم الانحراف ، كل هذه الأسباب وغيرها ، كافٍ أن لا يقدم عليه المرء دون ضرورة ، إلا كمن ألقى بنفسه في البحر على قربة مقطعة الأوصال ، وهو لا يجيد السباحة ، فيقال لمثله طبقًا للمثل : « يداك أوكتا وفوك نفخ » .

وبالنسبة للأجنبيات الأخريات في اللغة والوطن ، وهن مسلمات ، لا يعتبرهن الشارع أجنبيات ، إلا أن العاقل عليه أن يحسب حساب هذا الاختلاف في اللغة والوطن من ناحية تكاليف صلة الأرحام بالنسبة للزوجة والأبناء في المستقبل ، ربحًا أو خسارة ، بالإضافة إلى اختلاف العادات والتقاليد ، وما يضعه من أهداف لزواجه ، يساعد هذا الاختيار على نجاحه أو فشله .

وعلى الراغب في الزواج أن يحسب حساب قابلية تعلم زوجته اللغة الأم ، التي يرغب في تعليمها أبناءه ، إلا إذا

كان مستعدًا للتضحية بلغته على لسان أولاده ، فعليه أن يختار لأبنائه هوية جديدة ، لأن الهوية في مجملها لغة ، ولغة عالية الجودة ، فكم من آباء بكوا بعد ضياع اللغة الأم لدى أبنائهم .

بالإضافة إلى تتبع آي القرآن الكريم نجد أنه سمَّى واحدة النساء المختلفات في الدين امرأة ، ولم يسمها زوجة قال تعالى : ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ﴾ [التحريم : ١٠] .

ولئلا نظلم المرأة الأجنبية أيًا كانت ، أذكر امرأة غربية أسلمت وهي زوجة لعربي ، كانت حريصة ألا تتحدث بلغتها الأوربية أمام أبنائها الصغار من أجل أن يتقنوا لغة القرآن أولًا ، ولكن كم من امرأة أجنبية تصنع ذلك ؟ فالأمر يحتاج قوة إدراك ودقة حساب وحسن اختيار .

٤ - الزواج المؤقت :

الأصل في الزواج أنه على التأبيد ، ومن أجل ذلك طُلِب أن يراعى فيه حسن الاختيار ، لأن نتائجه مصيرية على مستوى الفرد والأسرة والأبناء ، ولذا يحرم التوقيت في عقد الزواج سواء أكان بالقلب أو باللسان ؛ نظرًا لأن كرامة الإنسان لا يُسَاوَمُ عليها ، والتوقيت نوعٌ من المساومة ، والطلاق أمر عارض أُبيح للضرورة القصوى ، لعلاج مشكلة

استعصت على الحلول ، كما ورد في حديث : « **أبغض الحلال إلى الله الطلاق** » (١) .

وزواج المتعة نوع من أنواع الزواج المؤقت ، ورد تحريمه في حديث علي ﷺ عن النبي ﷺ قال : « **إن النبي ﷺ نهى عن نكاح المتعة وعن لحوم الحمر الأهلية يوم خيبر** » (٢) ، ويعتبر نكاح المتعة كالزنى ؛ لأنه ليس فيه فارق واحد يفرّقه عنه ، وجمع أحدهم ستة وعشرين فرقًا بين الزواج المشروع والمتعة ، منها : أنها ليس فيها دوام ، ولا طلاق ، ولا ولي ، ولا عدد ، ولا شهود ، ولا حصانة ، ولا توثيق ، ولا سكنى ، ولا عدل ، ولا أسرة ، ولا مهر ، ولا نفقة ، ولا عدة وفاة ، ولا ميراث ، ولا ذات دين ، ولا عفة ، ومسماها مستأجرة ، ويمكن برضيعة دون النكاح ، ولا ظهار فيها ولا لعان .

٥ - الزواج العرفي :

شاع في الآونة الأخيرة ما يسمى بالزواج العرفي ، وهو في حقيقة الأمر زواج شرعي بكل ما يحمله المصطلح من معنى ؛ لأنه يتضمن كل أركان الزواج وشروطه ، وزواج السابقين كان على هذه الشاكلة ، دون تسميته بهذا

(١) أخرجه أبو داود وغيره عن ابن عمر ﷺ .

(٢) أخرجه النسائي .

الاسم ، واليوم لأنه يفتقر إلى التوثيق الرسمي في سجلات الدولة ، من أجل حفظ حقوق أطراف العقد والأبناء والأقارب ، أطلقوا عليه هذه التسمية ، لتفريقه عن الزواج المسجل .

لكن مع شرعية هذا الزواج ، لا يُنصَح باللجوء إليه ، لما فيه من غبن للزوجة وأبنائها في المستقبل ، وغالبًا ما يُستخدم للهروب من الحقوق ، أو للتكتم على هذا الزواج ، بسبب ما يحيط به من ضعف ومعارضة من قبل أطراف أخرى ، كالزوجة الأولى ، والوالدين ، والقوانين المتحكمة بإجراءات الزواج ومنع التعدد ، فيكون حلًّا لتجاوز هذه العقبات .

والزواج العرفي يكثر في البيئات البدائية ، ويحتاج إليه بعض المسلمين الذين يعيشون في دول أجنبية من أجل عقد الزواج بصورة شرعية ، في مقابل الصورة غير الشرعية التي تجريها قوانين تلك الدول ، وغالبًا ما تعقد الجالية هذا الزواج في مساجدها أو مكاتبها الثقافية ، ثم تسجله رسميًّا في سجلات تلك الدولة .

إلا أن هناك نوعًا من الزواج يطلق عليه تسمية زواج عرفي ، وهو لا يمت إلى الزواج العرفي بصلة – اللهم إلا التسمية – وذلك لافتقاده بعضًا من شروط الصحة مثل الولي ، أو الشهود ، أو الإشهار ، وذلك بالاحتيال على الفتيات في غياب الأسرة وولي أمرها ، مما يوقعها في المعصية

والحرج ، وضياع سمعتها وحقوقها ، وهذا العقد لا يرقى إلى العقد الفاسد ، فضلًا عن أن يسمى عقدًا عرفيًا .

٦ - زواج المسيار :

زواج المسيار يقصد به الزواج الذي تتنازل فيه المرأة عن بعض الحقوق ، التي يرتبها عقد الزواج ، مثل التنازل عن السكنى ، والنفقة ، واستمرارية المبيت معها ، وهذا يحرمها بالتالي العدل بين الزوجات ، وغالبًا ما يقدم على هذا الزواج الرجل المسافر ، والمرأة العانس اليائسة من الزواج الاعتيادي ، ويتحقق في هذا الزواج كامل أركان الزواج ، وهي العقد ورضا الولي والشاهدان والإشهار .

وغالبًا ما يلجأ إلى هذا النوع من الزواج التجار والطلاب والجنود في الغربة ، لحماية أنفسهم من المفاسد وصيانتها ، إلا أنه ينبغي الحذر في هذا الزواج من قلة الوفاء ، بسبب ما يعترضه من ضعف في الحقوق والواجبات ، عدا وجوب النفقة على الأبناء في حال الإنجاب ، وقد أفتى به كثير من العلماء .

٧ - الزواج الفاسد :

الزواج الفاسد هو الزواج الذي تترتب عليه آثاره بعد الدخول ، ويقبل التصحيح باستكمال الشروط وهذه الآثار هي : المهر ونسب الأولاد وحرمة المصاهرة والعدة

والنفقة [1] ، دون التوارث .

والزواج الفاسد ما فقد شرطًا من شروط صحته ، وهي الشهود أو التأبيد أو المهر ، أو كانت الخامسة ، أو الاقتران بالمحرمة مؤقتا مع من لا يحل الجمع بينهما ، أو تواصوا بكتم السر عند المالكية ، أو كان بغير ولي .

٨ - الزواج الباطل :

الزواج الباطل ما فقد ركنًا من أركان انعقاده ، ولا يترتب عليه شيء من آثار الزواج الصحيح ، ولو حدث فيه دخول ، وهذا ما نصت عليه المادة (٥٠) من قانون الأحوال الشخصية السوري ، وهو والزنا سواء .

ومبطلات عقد الزواج : افتقاد أهلية التصرف بالتمييز - وهو ما كان دون السابعة - وعدم توافق الإيجاب مع القبول ، وتحريم المرأة على الرجل بالمحرمية - من المحارم - أو بعصمة رجل آخر ، أو كفر الرجل وهي مسلمة .

٩ - الزواج الزنا :

وهذا لا يسمى زواجًا إلا تجوزًا ، لأنه لا يمت إلى الزواج بصلة ، غير اللقاء البيولوجي الحيواني ، ولربما كان الحيوان أكثر تحملًا للمسؤولية الغريزية لنتائج هذا اللقاء واللقاح ، إذ يقوم بتربية الوليد ، وتهيئة عشه والدفاع عنه ، بينما في حالة

(١) كما نص عليها قانون الأحوال الشخصية السوري في المادة (١٣٣) .

الزنا كثيرًا ما يتخلص الزناة من الجنين ، أو يتخلوا عن المولود ، أو يحرم الأبناء من العطف والنفقة والسكن والميراث .

وربما جُهل الوالد فلم يُعرف ، أو اختلط النسب فلم يَتَبيَّنْ ، أو نُقِلت إليه الأسقام التي أشار إليها رسول اللَّه ﷺ في قوله : « **ولا ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت** .. » [1] وهو محرم في جميع الشرائع ، ومستنكر بصورة من الصور في كل العصور ، ولدى سائر الشعوب .

وأضرار الزنا كثيرة جمع النبي ﷺ بعضًا منها في حديث : « **يا معشر المسلمين : اتقوا الزنا فإن فيه ست خصال : ثلاث في الدنيا ، وثلاث في الآخرة ، فأما اللاتي في الدنيا : فذهاب بهاء الوجه ، وقصر العمر ، ودوام الفقر ، وأما اللاتي في الآخرة : فسخط اللَّه تبارك وتعالى ، وسوء الحساب ، والعذاب بالنار** » [2] .

١٠ - الزواج المدني :

الزواج المدني عرف جديد في بلادنا ، بدأت ترتفع به بعض الأصوات ، في بعض الدول العلمانية وغيرها ، بحجة التخلص من الطائفية أو العنصرية الدينية ، وفي هذا النوع من الزواج يتم تجاوز اشتراط الولي ، وتجاوز اشتراط الدين ،

(١) أخرجه الطبراني عن ابن عباس وصححه السيوطي .

(٢) رواه ابن الجوزي والبيهقي وقال عنه ابن حجر ضعيف .

وتجاوز الحقوق والواجبات التي تفرضها الشرائع على الزوجين ، وبالتالي يصبح هذا العقد شبيه بزواج الدول الغربية ، التي أهدرت حقوق الإنسان ، بدعوى الحرية الشخصية ، فأوقعت الناس في حبال الزنا والمشكلات والشرور .

خامسًا - الزواج والحب :

١ - حقيقة الحب :

« سألني أحد أبنائي الطلاب ذات مرة ، هل الحب أمر جائز شرعًا ؟ قلت له : وهل يحيا الإنسان بلا حب ؟ إن الحب دفق الحياة في عروقنا ، ونبض المشاعر في قلوبنا ، والرغبة في السعادة والإسعاد في علاقاتنا ، إنه خبز الحياة لا بل ماؤها وهواؤها ، كيف لا ؟! وهو أس الوجود الإنساني برمته ، وعلاقته بالوجود كله ، ابتداءً من حب واجب الوجود ، اللّٰه الخالق الرازق ، المانح المنعم المتفضل ، وهل يُقابل الإحسان إلا بالحب والإحسان ؟ » (١) .

والحب كما قالت د . نوال السعداوي : « هو المحور الأساسي الذي تدور في فلكه كل القيم الروحية » وكل سعادات الأرض الدنيوية ، فإذا فُقِد هذا العنصر المهم فُقِدت كل القيم الأخلاقية ، وازدادت سعة الشر في

(١) من كتابي صيد خواطر مدرس/مخطوط .

النفوس البشرية » .

والعجيب اشتراك هذه الكلمة المؤلفة من حرفين ثانيهما مدمج ومدغم (بالتشديد) ، مع ما يعتبر أصل عالم النبات وتكاثره بأسره (الحبّ) ، وهي كلمة مشتركة بين كثير من أنواعه مثل : حب اللّه ، وحب الوطن ، وحب الوالدين ، وحب الأبناء ، وحب النفس ، وحب الزوجين ، و ... إلخ .

ولكن يختلف حب الزوجين عن غيره بأنه حب قابل للسمو والنمو ، بخلاف غيره الذي يولد كاملًا ، مع قابلية الازدياد والنقصان .

والشائع اليوم من الحب بتأثير الانحلال ووسائل الإعلام ، أن المقصود بالحب تركيز الاهتمام على شخص ما كمحور للدوافع الغريزية (البيولوجية) ، وكوسيلة لتنفيس التوتر البيولوجي ، إلا أن الحب بمفهومه الواسع والحقيقي أكبر من ذلك وأوسع وأجمل ، وحينما نقول : أن هناك فرق شاسع بين سلوك الحيوان وسلوك الإنسان ، فإنه ينبغي علينا أن ندرك الفرق الشاسع بين الحب الحيواني والحب الإنساني النبيل .

« ولهذا تؤكد الدراسات الاجتماعية أهمية الحب البنائية في الصحة النفسية ، وفي التوازن النفسي الاجتماعي للإنسان ، أو في اكتمال نضجه أو تحقيقه لأهدافه ، أو في

إعطاء الحياة معنى أو في رفع الروح المعنوية للإنسان ، وعلى الرغم من عدم وجود أية محاولات .. للتمييز بين الحب الحقيقي (الصادق) والحب غير الحقيقي (المزيف) ، فإن الحب لا يمكن أن يوجد مستقلًا عن المعايير الاجتماعية والثقافية ، ولا بمنأى عن الضبط الاجتماعي » [1] .

٢ - مراحل الحب :

وكثير من الناس يخلطون بين الحب وإحدى مراحله ، فيحسبون أي مقدمة من مقدماته هي الحب بعينه كاملًا ، وهذا جهل وضعف في الثقافة عمومًا من ناحية ، وضعف في الثقافة الجنسية خصوصًا من ناحية أخرى ، ولذا لا بد أن نبين لأبنائنا المراحل التي يمر بها الحب الحقيقي وشروطه .

والحب الزوجي يمر بالمراحل التالية :

١ - الشعور بالألفة . ٢ - الشعور بالانسجام .

٣ - الشعور بالإعجاب . ٤ - البوح الذاتي .

٥ - الميل المتبادل . ٦ - تحقيق الاحتياجات .

لكن هذا لا يمنع - في ظروف خاصة - أن يتجاوز الحب بين اثنين المرحلة الرابعة ليقف عند المرحلة الخامسة ، دون أي تجاوز لها ، بسبب القرابة والقرب والاختلاط ، إلا أن هذا الأمر له محاذيره الكثيرة ، المقيدة لحرية الاختيار

---

(١) د . سناء الخولي في كتابها الزواج والعلاقات الأسرية (١٧٠) .

السليم، بعيدًا عن العواطف التي قد تنمو في غفلة الزمن، لتوقع أصحابها في العشق المجنون، ويكون أمر المتحابين كمن ركب البحر في هبة العواصف والرياح. ولمثل هؤلاء قال رسول الله ﷺ : « **لم يُرَ للمتحابين مثل النكاح** » (١)، ولما سئل النبي ﷺ عن تزويج فتاة تقدم لها موسر وفقير، أمر أن تزوج من يميل قلبها إليه (٢).

وعلى الرغم من أن للحب مراحل، إلا أنه لا نهاية له بحيث يستقر استقرارًا يؤدي إلى التوقف، الذي يعني موت الحب، بل إن استقرار الحب في الإسلام يعني دوام توقده وتجدده، كدوام إشراق الصبح وانبلاج الفجر كل يوم، يشبه النهر الخالد الذي لا يتوقف عن الجريان، لأن الإسلام أطَّر هذا الحب بأن أدخل في سلكه وطريقه أنواعًا متعددة من المشاعر، التي تنميه من خلال نظام الأمومة والأبوة والأرحام.

قال النبي ﷺ لعائشة رضي الله عنها : « **إني ليهون علي الموت، أني رأيتك زوجتي في الجنة** » (٣).

٣ - الانخداع بالحب :

لكن هذا كله لا يمنع من التحذير من مغبة الانخداع

---

(١) أخرجه ابن ماجه والحاكم وقال على شرط مسلم.

(٢) في كنز العمال عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير وكنز العمال عن عائشة رضي الله عنها.

بالحب ، لأن العواطف المجردة من التعقل ، كهبة ريح سرعان ما تهدأ برحيل العاصفة ، مخلفة وراءها الأشياء الهشة ممددة حطامًا على الأرض » ولهذا تقول الكاتبة (ايفلين ميليس دوفال) في كتابها كيف تبني حياتك الزوجية ؟ : « إن الحب ليس كل شيء ، فهناك عوامل كثيرة لكل منها شأن وأثر هامان لنجاح الحياة الزوجية ، والاندفاع للزواج على غير أساس سوى الحب ، مخاطرة اجتماعية وشخصية » .

وقد تقول الفتاة : « إنني أريد فقط رجلًا يحبني ، فهذه الفتاة في أغلب الظن لا تعرف الفرق بين الحب الحقيقي ، والرغبة المبنية على لهفة الجنس .. فالرجل قد يتلهف على لقائها ، ويتحرق شوقًا إليها ورغبة فيها ، لكن هذا يعكس في طواياه رغبة جنسية تريد الجسد ، وهذا طبيعي لأنه نداء الغريزة ، لكن ماذا بعد ذلك مما يمثل الحب الحقيقي ، الذي يتضمن ما عددناه من صفات حميدة ؟ » [1] .

ولهذا نجد د . سناء الخولي تحدثنا عن تصورات خاطئة متعلقة بالحب منها :

١ - القول : « لقد وقعنا في الحب » .

٢ - الافتراض : « بأننا نقع في الحب بقلوبنا فقط » .

---

(١) د . سامي محمود في كتاب كيف تختار نصفك الآخر (١٨) .

٣ - الاعتقاد : « بأن الحب هو تجربة تتعلق بالجسد واحتياجاته » .

٤ - الظن : « بأن للحب قوة لا نهائية على تغيير كل شيء » .

٥ - تصور : « بأن الحب قادر على حل كل المشكلات » .

٦ - افتراض : « أن هناك شخص واحد في العالم يستحق حبنا » .

٧ - شيوع : « فكرة الحب قد يحدث من أول نظرة » .

وهذا يختلف بين سن وآخر ، فما ترغبه بنت السابعة عشرة ، غير ما ترغبه بنت العشرين ، أو الخامسة والعشرين أو بنت الثلاثين .

ولهذا يعتبر الحب لا قيمة له في علاقة عابرة ، مما يعني أنه لا يمكن أن ينشأ ويتأصل بغير علاقة دائمة لا تتم بغير الزواج ؛ إذ إن مشاعر المحبة والمودة لا تنشأ بغير أنس « وتعارف ، وتآلف ، وتعاطف ، وتجاوب ، واعتماد ، وخدمة ، واطمئنان » وسكن ، وتضحية .

* * *

الفصل الثاني

مراحل الزواج

أولا : المعرفة الجنسية .

ثانيًا : معرفة الأهداف .

ثالثًا : تحديد الصفات .

رابعًا : تحقيق الباءة .

خامسًا : مراحل الزواج .

الحب ينبوع الحياة تفجرت
من راحتيه سعادة الأكوان

الفَصْلُ الثَّانِي

مراحل الزواج

أولا - المعرفة الجنسية :

لم يعد مقبولًا اليوم الجهل الشديد بالمعرفة والثقافة الجنسية ، وذلك من خلال التكتم الشديد على المعلومات المتعلقة بهما ؛ لأن هذا يفتح المجال على مصراعيه ، لتلقي المعلومات الغزيرة التي تبثها وسائل الإعلام ووسائل الاتصال الحديثة المتضمنة للغث والسمين من المعلومات ، بالإضافة إلى حرمان الأبناء التهذيب المطلوب في عرض هذه القضايا ، مما يزلق القدم في الدروب الوعرة من ناحية ، ويوقعها في المشكلات الكثيرة من ناحية أخرى ، ويجعل الأبناء يتعرضون لتلقي معلومات جنسية وثقافة جنسية مغلوطتين .

والإسلام باعتباره منهجًا شاملًا يرتب سعادة الدارين ، يقدم كمًّا هائلًا من المعلومات والثقافة الجنسية النظيفة العفيفة الجادة والمسؤولة ، ابتداءً من تعليم الأبناء أسس الطهارة والاستنجاء ، وما يتعلق بذلك من حيض وطهر النساء ، إلى قضية الاحتلام وما يتعلق به من اغتسال وطهارة ، وذلك عن طريق كتاب اللّٰه ، وسنة رسول اللّٰه ، وسورتي النور ويوسف وغيرهما أبلغ دليل على التربية والثقافة الجنسية المتزنة في الإسلام ، بالإضافة إلى ما تضمنته

السيرة والفقه الإسلامي من تنظير وتقنين وأحكام لا نظير لها في أي تشريع أو ثقافة على وجه الأرض .

والتشدد والجهل الحاصل اليوم في ثقافتنا الجاهلية والقبلية تحت شعار الأعراف والتقاليد ، التي ما أنزل اللّٰه بها من سلطان ، لا يتحمل وزرها الإسلام ، ودستوره بين يدي كل إنسان قرآنًا وسنة .

ولهذا ولغيره مما نتعرض له بسبب الانفتاح على العالم ، ينبغي أن يكون أبناؤنا وبناتنا أكثر الناس ثقافة في هذا الجانب ، ليقدموا للعالم النموذج الرباني في فهم حقيقة السكن ، ولباس الحشمة ، والجنس الطاهر العفيف ، من خلال الزواج الإسلامي الناجح النبيل ، بالإضافة إلى ثقافة تحمل المسؤولية التي ينشئ الإسلام أبناءه عليها ، وذلك من خلال الفهم الواعي لمصطلح الباءة ، الذي ذكره رسول اللّٰه ﷺ في حديثه إلى الشباب : « **يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ..** »[1] .

ثانيا - معرفة الأهداف :

لقد تعرضنا سابقًا لفقرة دوافع الزواج بتفصيل ، إلا أن أهداف الزواج وأغراضه تختلف أحيانًا أو تتفق مع دوافع الزواج ، وهذا الاتفاق أو الاختلاف يتفاوت من شخص

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم .

إلى آخر ، حسب البيئة والظروف ونمط الشخصية ، والتنشئة والقيم الشخصية ، ولهذا سنتعرض لها بشيء من التفصيل .

ليس من الابتداع التوفيق بين أهداف الحياة وأهداف الزواج ، بل هو عين الصواب ، ولكن لا يربط بينهما بتشدد ؛ لئلا يُظن أن الفشل في تحقيق أهداف الحياة ، يتبعه بالضرورة الفشل في تحقيق أهداف الزواج ، وإلا أصبح الزواج غرضًا ووسيلةً لأمور احتمالية ، وهذا يدمر الحياة الأسرية والزوجية .

لكن السعي بأن يكون للزواج أهداف وأغراض ، مطابقة لأهداف المرء وأغراضه في الحياة ، يعتبر من علامات النجاح لكلا الأمرين معًا ، ولهذا ذكر رسول الله ﷺ مرغبات الزواج بالمرأة فقال : « **تنكح المرأة على إحدى خصال : لجمالها ومالها وخلقها ودينها ، فعليك بذات الدين والخلق تربت يمينك** » [١] .

وهذه الخصال المرغبة في الزوجة والزواج ليست للحصر ؛ لأنها من المباحات وهي كثيرة ، يضاف إليها العقل والحسب والنسب ، والعلم والاختصاص والموهبة ، والطبع والنمط والشخصية ، وصلة القرابة وإشباع الميل

(١) رواه أحمد والحاكم عن أبي سعيد الخدري .

والقيام بالمروءة ، وخدمة الوطن والقيام بواجب ونشر الدين ، وتمتين الروابط وتحقيق المصالح ودرء المفاسد ، وغيرها من الأغراض المباحة ، وإنما الأعمال بالنيات .

ومن أهداف وأغراض الزواج : غض البصر وإحصان الفرج ، والامتثال لأمر الله تعالى والتأسي برسوله ﷺ ، وتكثير الأمة بالنسل والإنجاب ، والتقارب بين الناس بالمصاهرة قال تعالى في سورة الفرقان : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ﴾ [الفرقان : ٥٤] ، وتكوين أسرة ، والعيش بفرح وسرور قال ﷺ : « **وفي بضع أحدكم صدقة** » (١) وتحقيق الانسجام الداخلي بالوسطية بين التحلل والرهبنة ، قال رسول الله ﷺ لمن رغب بالتبتل : « **من رغب عن سنتي فليس مني** » (٢) وإنشاء المحضن الطبيعي لتنشئة الإنسان والأجيال .

أغراض الزواج :

ومن أغراض الزواج التي ذكرتها د . سناء الخولي أستاذة علم الاجتماع في جامعة الإسكندرية ما يلي :

١ - تبادل الحب والأمن العاطفي .

٢ - البحث عن أمن اقتصادي ومنزل مستقل .

---

(١) أخرجه مسلم عن أبي ذر ﷺ .

(٢) أخرجه البخاري ومسلم عن أنس ﷺ .

٣ - استجابة لرغبات الوالدين .

٤ - الهروب من الوحدة أو من منزل الوالدين .

٥ - الحصول على رفقة وصحبة .

٦ - طلبًا للحماية والشهرة والوضع الاجتماعي .

٧ - وفاءً بالجميل أو شفقة أو نكاية ومغامرة [١] .

وغيرها أغراض كثيرة لا حصر لها كما ذكرنا سابقًا ، والعبرة في ذلك كله وضوح الهدف ، ونقاء الغرض ، وطهارة السريرة ، وصدق الطلب ، وواقعية تكييف ذلك كله مع الكفاءة والقدرات بين الطرفين .

ومن لا يعرف أهدافه في الحياة ورسالته فيها ، حري به أن لا يحدد أهدافه من الزواج ، ولا يدرك عمق أغراضه فيه ، فإذا عرض له بعد ذلك تطورات وضحت فيها أهدافه العليا ، ولم تكن أغراضه التي بنى عليها زواجه متوافقة معها ، حصل الصراع والتعارض والتشاكس ، خاصة حين محاولة المواءمة بين الأمرين ، أو الاتفاق بين الزوجين .

صحيح أن القاعدة التي وضعها رسول الله ﷺ لاختيار الزوج على أساس الدين والخلق ، كفيلة بحل جميع إشكاليات الحياة وتطوراتها ، إلا أن درجة الوعي الديني الشامل ، والتنشئة الاجتماعية السليمة ، التي تحدد اتجاه

(١) في كتابها الزواج والعلاقات الأسرية (٤٦) .

السلوك المتفق مع الظروف المختلفة ، يكاد أن يكون نادر الوجود ، خاصة مع انفصال الدين عن الخلق من ناحية ، بسبب تمحوره حول العلاقة مع الله ، وانفصال الخلق عن المجتمع بسبب تمحوره حول الأنا والذات .

ومن حكمة الزواج ما ذكره د . عبد الكريم زيدان [1] :

١ - إشباع ما جبل عليه الإنسان من الغريزة الجنسية بشكل لائق .

٢ - تحقيق الأنس والسكن النفسي قال تعالى : ﴿ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا ﴾ [الروم: ٢١] .

٣ - إيجاد النسل الثابت النسب بينهما ورعايته ، بخلاف أبناء السفاح .

٤ - تكوين الأسرة الصالحة المتماسكة ، المكونة من الزوجين والأبناء وأقاربهم .

٥ - تكثير أفراد الأمة بشكل منظم ، لاستمرارية بقاء النوع على الوجه اللائق به .

قال الكمال بن الهمام صاحب كتاب فتح القدير : « الوطء على غير الوجه المشروع ، مستلزم للتظالم وسفك الدماء وضياع الأنساب ، بخلافه على الوجه المشروع » [2] .

---

(١) في كتابه المفصل في أحكام المرأة .

(٢) كتاب فتح القدير شرح الهداية (٣٤١/٢) .

ثالثًا - تحديد الصفات :

الزواج ليس مجرد علاقة وإنما هو مشروع ، « ولنجاح أي مشروع لا بد له من سلامة التفكير وحسن التدبير ؛ ولذا كان من أكبر أخطاء الرجل أن يعجبه وجه المرأة فيتزوجها كلها ، ومن أكبر أخطاء المرأة أن يعجبها كلام الرجل فتوافق على الزواج منه » مصابيح .

ولهذا كان تعدد معايير حسن الاختيار من حسن الاختيار : وهو معيار القلب - والأذن - والعين - والعقل ، ولا ينبغي التنازل عن الدين والخلق في أي حال من الأحوال ، لقوله ﷺ : « **إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه** » [1] .

تحديد صفات الزوج رجلًا كان أو امرأة يعتبر من عوامل نجاح الزواج ، لأن كثيرًا من الناس ينظرون إلى الجمال أو المال ، متناسين ما يلزمهم من عناصر أخرى أساسية ، هم أحوج إليها في شريك أو شريكة العمر ، وهذا مرتبط أشد الارتباط بما ذكرناه سابقًا من تحديد الأهداف الحياتية والأسرية .

فالمتعلم الذي يرغب في استمرارية تعلمه لا يصلح له من تكره الكتاب ، والتاجر الذي يطمح في تكوين ثروة

(١) أخرجه الترمذي والبيهقي عن أبي حاتم المزني .

لا تصلح له من لا تقيم وزنًا للمال ، لأنها ستنغص عليه في السعي لتبذيره ، والإنسان العملي الذي يميل إلى قيادة الآخرين وانصياعهم له ، لا يصلح له من طبعها العناد والاستبداد بالرأي .

فالجمال والحسن مطلوب ، إلا أنه نسبي تختلف عناصره من شخص لآخر ، والعقل والعلم مطلوب ، إلا أنه يتدرج بحسب قدرات وتطلعات الناس فيه ، وهناك من يسعى لتحسين نسله بالشريك ، من خلال تحديد الصفة المرغوبة في الأبناء من الطول والقصر ، والنحافة والبدانة ، والسمرة والبياض ، ولون العينين والشعر ، والصحة وتبديد الوراثة المرضية ، وهذا يلزمه استشارة طبيب مختص ، خاصة بعد الكثرة الظاهرة في انتشار الأمراض البيئية والوراثية .

يروى في هذا السياق فكاهة ما ورد في كتاب المستطرف على لسان الجاحظ قوله : « أخجلتني امرأة حيث وقفت إلي وقالت : لي إليك حاجة ، أريد أن تمشي معي ، فقمت معها إلى صائغ يهودي فقالت : مثل هذا ، فسألته قال : أمرتني أن انقش لها صورة شيطان فأتت بك » .

ومع كل هذا تبقى معايير القيم العليا هي أساس النجاح والسعادة ، ومنبعها القلب الصالح ، قال رسول الله ﷺ :

« إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ، ولا إلى أحسابكم ، ولا إلى

أموالكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم ، فمن كان له قلب صالح تحنن الله عليه ، وإنما أنتم بنو آدم ، وأحبكم إليَّ أتقاكم » (١) .

ومن تتبع آي القرآن الكريم يجد فيه تفريقًا بين مصطلح امرأة وزوجة ، فالأولى بُلْغَة الرجل من النساء ، فيها نقص من المودة بسبب الكفر والضلال ، أو بسبب العقم لعدم الإنجاب ، ويقاس على ذلك المرأة المشاكسة كثيرة المشاكل ، وهذا نجده في قوله تعالى في سورة مريم : ﴿ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا ﴾ [مريم: ٥] وفي سورة النساء : ﴿ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا ﴾ [النساء: ١٢٨] بينما قال في زكريا عليه السلام : ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ﴾ [الأنبياء: ٩٠] و ﴿ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا ﴾ [الروم: ٢١] وإن كانت هذه المسألة ليست على إطلاقها .

ومع كل ما ذكرناه « إذا استطاع الشاب والفتاة أن يهبطا من فضائيات الأحلام إلى أرضيات الواقع ، ليتأقلما مع ما هو موجود بين أيديهما ، فمعنى ذلك أنهما استطاعا بناء الحياة الزوجية على أحسن وجه » (٢) .

---

(١) أخرجه الطبراني عن أبي مالك الأشعري وفي كنز العمال .

(٢) د . محمد عمر الحاجي في كتابه الأمن العائلي (١٨) .

رابعًا - تحقيق الباءة :

كثير من الشباب يحسب أن القدرة على الزواج هي القدرة البدنية أو الفحولة ، وهذا جهل كبير في الثقافة الجنسية التي ذكرنا طرفًا منها فيما سبق ، ورسول الله ﷺ أذن بالزواج لمن قدر على الباءة واستطاعها ، وبالرجوع إلى معاجم اللغة ولسان العرب تبين أن لهذه الكلمة معاني كثيرة تصب في مجملها في المفاهيم التالية : الأُصل في معنى الباءة : المنزل ، ومنه البيئة ، والمباءة ، وسمي الزواج بها ؛ لأن من تزوج امرأة بوأها منزلًا .

قال الشاعر :

يا أيها الراكب ذو الثبات

إن كنت تبغي صاحب الباءات

فاعمد إلى هاتيكم الأبيات

والمباءة : المرجع - وباء : احتمل - وأبوء : أحتمل ، وألتزم ، وأرجع ، وأقر - والبواء : التكافؤ .

ومن هذه المعاني يتبين لنا أن مشروع الزواج ليس تسلية ولا ألعوبة بيد الشبان غير المؤهلين له ، فكما أن أي مؤسسة أو شركة أو مشروع ، لا تقبل بأن ينضم إلى عضويتها الإنسان غير المؤهل ، فكذا مشروع الزواج لا بد لمن ينخرط فيه أن يستطيع الباءة ، وهي تعني تكاليف الزواج ومؤهلاته

المادية والمعنوية والبدنية ، ومنها الالتزام والاحتمال والإقرار بالمسؤولية ، وأن يقوم بهذا بنفسه لا بالآخرين ، ومن الباءة الحصول على الوظيفة أو المهنة التي تكسبه القدرة على الإنفاق ، إذا أردنا لمشروع الزواج ومؤسسته النجاح .

ولهذا « اشترط علماء الحنفية ، أن يكون الشخص قادرًا على مؤونة الزواج من مهر ونفقة الزوجة ، ومثله عند علماء المالكية » [1] .

وهذا الشرط تدخل تحته المرأة كما دخل فيه الرجل ، عند علماء الشافعية والمالكية بقولهم : « يحرم الزواج على المرأة إذا علمت من نفسها عدم قيامها بحقوق الزوج ، وهي ليست بحاجة إلى الزواج » [2] والباءة هنا بالنسبة للمرأة نفسية بدنية .

خامسًا - مراحل الزواج :

وبما أن الزواج ميثاق غليظ ومشروع موثق ، فإنه يمر عبر مراحل لا بد منها إذا أردنا له النجاح ، وهذه المراحل هي التالية :

١ - **الثقافة الجنسية** : وقد تحدثنا عنها فيما سبق .

٢ - **تحقيق الباءة** : وقد أعطينا نبذة عنها من الناحية

(١) كتاب البدائع للكاساني (٢/٢٢٨) .
(٢) كتاب نهاية المحتاج للرملي (٦/١٨٠ ، ١٨١) .

اللغوية والعملية .

٣ - **قرار الخطبة** : وهي مرحلة الاختيار السابقة على إجراء العقد .

٤ - **عقد الزواج** : وهي إجراءات الاتفاق النهائية مع التوثيق .

٥ - **إقامة حفلة الزفاف** : وهي إجراءات العرس وليلة الزفاف .

* * *

الفصل الثالث

الخطبة

أولا : مرحلة الخطبة .

ثانيا : أسس الاختيار .

ثالثا : الرؤية والتحقق .

رابعا : الاتفاق والحقوق .

خامسا : أحكام الخطبة .

﴿ ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۢ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف : ٦٧] .

الفَصْلُ الثَّالِثُ

الخطبة

أولًا - مرحلة الخطبة :

١ - مقدمات الخطبة :

يتم قرار الخطبة بعد البحث والسؤال عن طريق خاطب أو خاطبة ، تتوفر فيهما الخبرة والعدل والأمانة والإخلاص والعشرة ، بالإضافة إلى رجاحة العقل ، وغالبًا ما تكون الخاطبة هي الوالدة في بلادنا ، تترقب الفتيات الجميلات في مجتمعها ، وقد تتصيدهم من الشارع ، أو تسأل عنهم صديقاتها وقريباتها ، آخذة العنوان الذي يوصلها إليهن ، لتقوم بزيارتهن والسؤال عنهن والتعرف عليهن .

ويتم التعرف على الفتاة من خلال أهلها وداخل بيتها ، فيتم التعرف على نظافة البيت وأناقته ؛ لأن للنظافة وطريقة معيشة الفتاة داخل أسرتها أهمية قصوى في قبولها زوجة لولدهم ، وكثيرًا ما يتم السؤال عن مهنة الوالد ، وينظر إلى أم الفتاة كأساس في الاطمئنان على تربية ابنتها وأفراد أسرتها .

وقد تُعرَف الفتاة ويشتهر أمرها من خلال تقدمها الدراسي والمهني ، وقد لا يحتاج الأهل إلى هذه الأمور كلها ، بسبب اختيارهم المبكر للعروس من بنات ذوي

القربى والأصدقاء ، فهم يعرفونها منذ زمن بعيد ، حيث كانت صغيرة تدرج أمام ناظرهم ، وهم مطمئنون أشد الاطمئنان إلى صفات الفتاة وأخلاقها وتربيتها ، بل ربما يصل الأمر إلى معرفة أسرار البيت وصغائر الأمور عنها ، والفتاة وأهلها يعرفون ذلك أيضًا ، ولكن لا يُظن أن هذه المعرفة تبلغ عمق كل الأمور ، فكثيرًا ما تبقى هناك أمورًا مخفية ، على الرغم من القرب الشديد بين الأسرتين .

« وجدير بالذكر أن الأسرة المصرية - والعربية - تنظر إلى التربية المتشابهة ، والوسط الاجتماعي المتماثل ، على أنهما من الأسس الهامة التي يقوم عليها الاختيار في الزواج » [1] .

وقد يرى الشاب الفتاة في مناسبة عابرة ، أو في الجامعة ، أو في حفلة ما ، أو في السوق ، ويشير على أهله بالسؤال عنها وخطبتها ، وقد يلتقي بها في الوظيفة أو في عمل أو في مؤسسة ، ويرسل أهله للتعرف عليها وخطبتها ، وقد يقوم هو بهذه المبادرة إذا لم يكن الحياء يمنعه من ذلك ، ويرسل أهله لخطبتها رسميًا ، أو يذهب معهم إلى بيت أهلها لإتمام الخطبة .

وفي بعض الحالات يُخْطَبُ الرجلُ من قبل أهل العروس ، طمعًا في أخلاقه ومؤهلاته ، تقليدًا لعمر بن الخطاب ﷺ الذي كان يبحث عن زوج لابنته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، والشباب إذا

(١) د . سناء الخولي في كتابها الزواج والعلاقات الأسرية (٤٦) .

كانوا على خلق رفيع وكفاءة عالية لا يستغرب طمع الآباء فيهم أزواجًا لبناتهم ، كن خلوقًا أيها الشاب وعلى دين وعلم ، فلن تعدم الرغبة فيك زوجًا وصهرًا .

قال الشاعر :

من يصنع المعروف لا يعدم جوازيه
لا يذهب العرف بين اللّه والناس

أما من كان من الشباب نكرة من خلق ودين وعلم ، فأنى يُطمأن إليه لبنات هن حبات القلوب ، صحيح أنه يبقى له باب المال مفتوحًا على مصراعيه يتزوج به من شاء من الجميلات ، إلا أن بينه وبين الحسيبات النسيبات ، ضرب القتاد وسد يأجوج ومأجوج .

٢ - التعارف :

يحدث أنواع متعددة من التعارف بين الجنسين ، ولكن أي نوع من هذا التعارف يحقق الغرض الحقيقي منه في بناء الأسرة الناجحة ؟ قد يتعرف فتى على فتاة بطريق ما غير مقصودة ، فإذا كانا في فترة المراهقة أو قريبًا منها ، فالغالب أن هذا التعرف ليس من ورائه طائل ، بل ربما جر عليهما ما لا تحمد عقباه . والسبب في ذلك عدم قدرتهما على تحمل مسؤولية تصرفاتهما ، لعدم النضج وهشاشة الرشد وضعف الاستقلالية .

وقد يتعرف فتى على فتاة بطريق مقصودة بنية الزواج وبناء أسرة ، وهما راشدان وناضجان ولهما استقلالية اقتصادية واجتماعية ، فإذا تجاوزا الأعراف والتقاليد السالفة الذكر ، وأقدما على التواعد واللقاء ، بحجة التباحث بأمور الخطبة والزواج ، فهل هذا التواعد واللقاء يحقق الغرض المنشود ؟

تقول د . سناء الخولي : أستاذة علم الاجتماع في جامعة الإسكندرية : « التواعد أو ضرب المواعيد للقاء ، يعتبر عادة غربية أساسًا – لتحقيق أغراض متعددة – بيد أن التلاقي من ناحية أخرى له آثاره السلبية ، وخاصة في ظل ظروف مجتمعية غير مؤيدة له أو غير ملائمة ، أو إذا استخدمه أحد الطرفين للتدمير الذاتي أو التشهير .

ولا يرجع ذلك إلى أن الزواج أقل أهمية وجذبًا للاهتمام من التواعد ، ولكن في الزواج يواجه الزوجان الواقع والحقيقة ، أما في التواعد فكثيرًا ما تختلط الحقيقة بالخيال ، وربما كان هذا هو سبب ما نلاحظه من تغير الناس – وغالبًا إلى الأسوأ – بعد زواجهم ، فقبل الزواج يبدو الشابان في مظهر زائف ، ويرى كل منهما الآخر من وجهة نظر متميزة ، ولكن بعد الزفاف يعود كل منهما إلى صورته الحقيقية ، مما يشكل صدمة لكل منهما » [1] .

---

(١) في كتابها الزواج والعلاقات الأسرية (١٧٦) .

وتقول كاتبة غربية عن هذه المواعيد واللقاءات : إن معظم التوقعات والآمال التي يبنيها الشابان لا يمكن إنجازها ، والزواج في هذه الحالة يشبه الخذلان (Let down) .

ولكن ليس هناك مانع شرعي من التعبير عن الرغبة في الخطبة والزواج ، إذا كانت من راشدين ناضجين جادين ، شرط أن يتم استكمال إجراءاتها الرسمية ، عن طريق ولي الأمر والأهل بالنسبة للمرأة .

لكن هذا لا يعني ضرب المواعيد واللقاءات وتجاوز حدود التعبير المجرد ، الذي يؤدي إلى تبادل المشاعر والنظرات والآهات ، التي تدخل في حيز الاستمتاع النفسي المحظور شرعًا وعرفًا خارج عقد الزواج ، كيف إذا انضاف إليه متعة الحديث والقول المتكسر ، الذي عبر عنه القرآن الكريم أبلغ تعبير في قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ ﴾ [الأحزاب : ٣٢] .

٣ - معنى الخطبة :

معنى الخطبة فيما يتصل بالزواج : طلب ود الطرف الآخر للموافقة على الزواج به ، وهي وعد بالعقد قبل إجرائه بشكل رسمي ، ولهذا يعتبر من مقدمات الزواج ، جاء في المادة : (٢) من قانون الأحوال الشخصية السوري ما يلي : « الخطبة ، والوعد بالزواج ، وقراءة الفاتحة ،

وقبض المهر ، وقبول الهدية ، لا تكون زواجًا » .

ويستحب في الخطبة الإسرار وعدم الإعلان ، لقول رسول الله ﷺ : « أظهروا النكاح ، وأسروا الخطبة » (١) . وذلك لتقليل الالتزامات والآثار الأدبية الناتجة عنها في حال فسخ الخطوبة ، خاصة بالنسبة للفتاة ، لما لذلك من أثر سلبي على سمعتها ونفسيتها ، وإن كان الأمر لا يستحق كل تلك الضجة الاجتماعية ، التي يثيرها المجتمع المحلي حول هذا الأمر ، بسبب ثرثرته في قال وقيل التي نهى عنها رسول الله ﷺ .

ويقصد بالخطبة تخصيصًا : المقدمة التي يخطب بها الخاطب أو من ينوب عنه من وجهاء أهله ، وتتضمن مدحًا للمخطوبة وما يرغب بها من خصال أدبية ، وكأنها جواب على سؤال لماذا ترغبون في فتاتنا دون غيرها من النساء ؟ بالإضافة إلى مدح الخاطب متضمنًا صفاته وقدراته ، وكأنه جواب على سؤال ما الذي يرغبنا في قبول فتاكم زوجًا لفتاتنا ؟

وعادة ما تتم الخطبة بالموافقة المبدئية بين الطرفين ، ويعتبر تقديم خاتم الخطوبة إعلانًا رسميًا لها ، وقد يتم الاتفاق على عدم الإعلان عنها إلا بعد استكمال دراسة ، أو عقد

(١) روي في الجامع الصغير عن أم سلمة .

القران ، أو تقديم المهر أو جزء منه ، إلى ما هنالك من شروط خاصة حسب ظروف الخاطبين والناس ، وربما تجرى حفلة متواضعة بهذه المناسبة ، أو يؤجل ذلك إلى وقت كتابة العقد .

وفي الأدب والتاريخ نصوص كثيرة تمثل أروع ما قيل في خطبة النكاح ، منها خطبة النبي ﷺ على خديجة رضي الله عنها ألقاها عمه أبو طالب ، وقيل ألقاها العباس ﷺ ، ومن ذلك خطبة أهل الفتاة تعبيرًا عن قبولهم الخاطب ، ووصيته بفتاتهم بأن يرعاها ويحفظها ويكرمها .

ومثال ذلك ما خطب به عتبة بن أبي سفيان على صهره عثمان بن عنبسة بن أبي سفيان فقال : « أقرب قريب خطب أحب حبيب ، لا أستطيع له ردًّا ولا أجد من إسعافه بُدًّا ، قد زوجتكما وأنت أعز علي منها ، وهي ألصق بقلبي منك ، فأكرمها يَعذُب على لساني ذكرك ، ولا تهنها فيصغر عندي قدرك ، وقد قربتك مع قربك ، فلا تبعد قلبي من قلبك » [(١)] .

ثانيا - أسس الاختيار :

١ - المنهج الإسلامي :

وضع القرآن الكريم الأساس الأول للاختيار الخلق والدين

(١) من كتاب تحفة العروس لمحمود مهدي الاستانبولي (٧٩) .

بقوله تعالى : ﴿ وَالطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ ﴾ [النور: ٢٦] . وقوله : ﴿ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٢١] ووضع رسول الله ﷺ أسسًا متعددة لحسن الاختيار ، بما ذكره في أحاديث عدة منها :

١ - « تنكح المرأة لأربع : لمالها ، وحسبها ، وجمالها ، ودينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك » (١) .

٢ - « ألا أخبرك بخير ما يكنز المرء؟ المرأة الصالحة ، إذا نظر إليها سرته ، وإذا غاب عنها حفظته ، وإذا أمرها أطاعته » (٢) .

٣ - « تنكح المرأة على إحدى خصال : لجمالها ، ومالها ، وخلقها ، ودينها ، فعليك بذات الدين والخلق تربت يمينك » (٣) .

٤ - « تخيروا لنطفكم ، وأنكحوا الأكفاء ، وأنكحوا إليهم » (٤) .

٥ - « خير نساء ركبن الإبل نساء قريش ، أحناه على ولد في صغره ، وأرعاه على زوج في ذات يده » (٥) .

٦ - « .. فهلا جارية -بكرًا - تلاعبها وتلاعبك ،

---

(١) رواه مسلم .

(٢) متفق عليه .

(٣) أحمد والحاكم .

(٤) رواه ابن ماجه .

(٥) رواه البخاري .

وتضاحكها وتضاحكك .. » [1] .

٧ - « **عليكم بالأبكار ، فإنهن أعذب أفواهًا ، وأنتق أرحامًا ، وأرضى باليسير** » [2] .

ولقد لخص د . وهبة الزحيلي ضوابط الاختيار في كتابه الفقه الإسلامي وأدلته ، ونسبها إلى الشافعية والحنابلة على النحو التالي :

أن تكون دينة - ولودًا - بكرًا - متصفة بالقناعة - حسيبة - جميلة - غير قريبة - يكتفي بواحدة إذا استعف .

من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية نستنتج أساسين رئيسين لحسن اختيار الزوج ، رجلًا كان أو امرأة ، وهما الخلق والدين ، ويستدل على ذلك من القرآن ، فقوله تعالى (ولأمة) يدل على الأساس الأول وهو الخلق ؛ لأن كون المرأة كالأمة يعني في الطاعة ، لأن هذا هو المعهود من الإماء بالنسبة لأسيادهن ، وهو منتهى التذلل والتودد والخدمة ، ولذا ورد في وصية بعضهن إلى ابنتها : كوني له أمة يكن لك عبدًا ، وهذا الأمر للتشبيه ، ولا يقصد به ذوبان أحدهما في الآخر إطلاقًا .

---

(١) رواه البخاري .

(٢) رواه ابن ماجه .

والأساس الثاني نجده في كلمة مؤمنة ، وهذا ما تؤيده الأحاديث النبوية كذلك ، وعلى هذا نجد في النصوص الشرعية أسس حسن الاختيار ما يلي :

١ - الخلق والأدب .	٢ - الدين والتقوى .
٣ - الصلاح والتدبير .	٤ - الجمال والحسن .
٦ - النسب والحسب .	٦ - الحفظ والأمانة .
٧ - الكفاءة والسن .	٨ - المال والبيئة .
٩ - الطاعة والاحترام .	١٠ - الحنو والود .
١١ - البكر الولود .	١٢ - تقدير البيت .

على الرغم من الإباحة التي أشار إليها الشارع في اختيار أي مجموعة من هذه الأسس ، إذا كانت تحت مظلة الخلق والدين ، فإن الشارع حذر من التركيز على أساس دنيوي بحت ، بغض الطرف عن قيامه على قاعدة الخلق والدين ، فقال رسول الله ﷺ : « **لا تنكحوا النساء لحسنهن فلعله يرديهن ، ولا لمالهن فلعله يطغيهن ، وانكحوهن للدين ، ولأمة سوداء خرقاء ذات دين أفضل** » [١] .

وفي حديث آخر ذكره الإمام الغزالي في إحياء علوم الدين - على الرغم من ضعفه - بليغ الدلالة في التحذير من الجمال دون مراعاة الخلق والدين ، وهو قوله ﷺ :

(١) أخرجه ابن ماجه والبزار عن ابن عمر ﷺ .

« إياكم وخضراء الدمن ، فقيل : ما خضراء الدمن ؟ قال : المرأة الحسناء في المنبت السوء » [1] .

ويقصد بالحسب المرأة الحسيبة ، وهو يعني في الأصل الشرف بالآباء وما يعده الناس من مفاخرهم ، وقيل : الحسب يعني الفعال الحسنة .

وقصة نوح بن مريم قاضي مرو ذات دلالة كبيرة على ذلك ، حين أراد أن يزوج ابنته استشار جارًا له مجوسي فقال له : سبحان اللَّه! إن الناس يستفتونك وأنت تستفتيني ؟! فقال له القاضي : لا بد أن تشير علي .

قال المجوسي : إن رئيسنا كسرى كان يختار المال ، ورئيس الروم قيصر كان يختار الحسب والنسب ، ورئيسكم محمد كان يختار الدين ، فانظر أنت بأيهم تقتدي ؟ [2] .

وقد جمع الإمام الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين ، خصال حسن الاختيار في ثمانية خصال هي : الدين والخلق والحسن وخفة المهر ، والولادة والبكارة والنسب وأن لا تكون قرابة قريبة .

٢ - المنهج النفسي :

وضع علماء الاجتماع منهجًا آخر لأسس الاختيار ،

(١) أخرجه الواقدي وهو في الإحياء .

(٢) من كتاب المستطرف (٢/٤٧٧) .

يقوم على العامل النفسي للشخصية ، بناء على اختيار شريك الحياة المشابه أو المكمل .

الأساس الأول يقوم على اختيار الزوج المشابه في الصفات أو الطباع ، أو المساوي في المستوى التعليمي أو الاجتماعي أو الاقتصادي ، أو المتفق في الميول والقدرات ، وغالبًا ما تعتبر المقارنة بالوالد والوالدة معيارًا للاختيار .

يقول د . مصطفى فهمي أستاذ الصحة النفسية بجامعة عين شمس : « إن علاقة إنسانية أبدية كالزواج ، يجب أن تقوم على أسس نفسية ثابتة ومتينة ، وليس أقوى على تحقيق ذلك من التشابه والتوافق ، في كل ما يحبه كل من الزوجين وما يكرهه ، ولا أقوى من الوجدانيات المتبادلة ، وتشابه الاتجاهات الفكرية فيما يختص بالعمل واللعب والآمال » .

الأساس الثاني يقوم على اختيار الزوج المكمل له ، لما يشعر بأنه ينقصه من عواطف أو علم أو نسب أو مال أو مواهب وقدرات ، أو طول أو حسن أو جمال ، وغالبًا ما يعتبر معيار الجاذبية هو الأساس .

لكن هذا الأساس دخل عليه اليوم دراسة أنماط الشخصية المتعلقة بالأنماط الثلاثة : السمعية ، والبصرية ، والحسية ، يضاف إليها الأنماط الأربعة الأخرى : الإنسان العملي ، والتحليلي ، والودي ، والحسي ، وبتداخلها في

الشخصية الإنسانية تتفرع إلى ستة عشر نمطًا ، وباكتشاف نمط المقابل يتم الانجذاب أو التنافر ، ولذا قال رسول الله ﷺ : « انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما » (١) .

٣ - رعاية الجمال :

قال الإمام الغزالي في كتابه الإحياء : « وما نقلناه من الحث على الدين وأن المرأة لا تنكح لجمالها ، ليس زجرًا عن رعاية الجمال ... » .

« ويستحب نكاح بكر ، ويستحب أن تكون جميلة ، لأنه أسكن لنفسه ، وأغض لبصره ، وأكمل لمودته ، ولذلك جاز النظر قبل النكاح » (٢) .

وقد دقَّ فقه الإمام أحمد في هذه المسألة حين قال : « إذا خطب رجلٌ امرأة سأل عن جمالها أولًا ، فإن حُمِد سأل عن دينها ، فإن حُمِد تزوج ، وإن لم يُحمَد يكون رد لأجل الدين ، ولا يسأل أولًا عن دينها ، فإن حُمِد سأل عن الجمال ، وإن لم يحمد ردها للجمال لا للدين » (٣) .

وكما أن مراعاة الجمال مطلوب في النساء ، فهو مطلوب في الرجال كذلك ، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

---

(١) أخرجه الإمام أحمد .

(٢) كتاب كشاف القناع في فقه الحنابلة ، المفصل (٤٧/٦) .

(٣) كتاب شرح منتهى الإرادات (٥/٣) ، وغاية المنتهى (٤/٣) .

« لا تكرهوا فتياتكم على الرجل القبيح ، فإنهن يحببن ما تحبون » .

ويبقى الجمال الحقيقي جمال الروح والخلق والدين ، وهذا ما عبرت عنه الشاعرة ملك حفني ناصف بقولها :

إن الفتاة حديقة وحياؤها
كالماء موقوفًا عليه بقاؤها
بفروعها تجري الحياة فتكتسي
حقلًا يروق الناظرات رواؤها
إيمانها بالله أحسن حلية
فإمَّا ضاع ضاع بهاؤها
لا خير في حسن الفتاة وعمرها
إن كان في غير الصلاح رضاؤها
فجمالها وقف عليها إنما
للناس منها دينها ووفاؤها

ولكن بعيدًا عن مثاليات التواضع في انجذاب الرجل إلى جمال المرأة ، يبقى هناك نوع من جمال آخر له أهمية كبرى لديه ، وهو جمال الخلق والصفات ، جمال الشخصية والعقل والطباع .

٤ - فتى الأحلام :

من هو فتى الأحلام المطلوب المرغوب ؟

في البدء لا بد من الإجابة على هذا السؤال بصراحة ووضوح ؛ لأن معرفة من يتمتع بمسمى الرجولة بكل معنى الكلمة أدعى لتحلي الشباب بالأخلاق والقيم ، التي ترفع من شأنهم في منظار أنفسهم أولًا ، وفي أعين نساء الحي والأمة ثانيًا ، وهذا الأمر من الأهمية بمكان ؛ بسبب اختلاط الثقافات وضياع الأصالة ، التي كانت تتمتع بها أمتنا إلى عهد ليس بالبعيد ، لما له من آثار وطيدة على حسن العلاقة بين الجنسين ، مما يؤدي إلى نجاح الزواج والعلاقات الأسرية .

روى الأصمعي أن رجلين خطبا ابنة له ، وكان أحدهما مقلًّا من المال ولكنه عاقل ، والآخر ذو مال ولكنه أحمق ، فشاور أبوها رجلًا يقال له أبو زيد فقال له : لا تزوج ابنتك إلا عاقلًا متدينًا ، فإن لم يكرمها لم يظلمها .

ثم شاور رجلًا يقال له أبو العلاء فقال له زوِّجها لمكثر من مال فإن ماله لها وحمقه على نفسه ، فزوجها من الثاني فلقي منه ما يكره في نفسه وفي ابنته ، فأنشد في سوء المشورة والاختيار :

ألهفي إذ عصيت أبا يزيد

ولهفي إذ أطعت أبا علاءِ

وكانت هفوة من غير ربح

وكانت زلقة من غير ماء

أن تختار العاقلة الغني أو الجميل أو صاحب المركز ، وتنسى عقله أو دينه أو شخصيته ، هذا الاختيار يعقبه الندم .

المرأة العاقلة الذكية تحب في رجلها صفات ثلاثة : الصدق - عدم البخل - قوة الشخصية ،وكذلك الرجل الذكي - واللماح - ومن له أفق واسع .

وتحب المرأة في الرجل قدرته على التعبير - وتحب من يستطيع إيصال همسات العاطفة وحديث الوجدان إلى القلب ، وأن يكون مرهف الحس - واثق من نفسه - المحب - صاحب القلب الكبير - الذي يتمتع بالرجولة (غير مخنث) ، وبمعنى مختصر تحب المرأة الرجل الإنسان ، الذي يتمتع بالإنسانية ، والعواطف النبيلة ، القادر على أن يعطي أكثر مما يأخذ ، والقادر على إسعاد الآخرين .

وفي كتاب « كيف تختار نصفك الآخر » للدكتور سامي محمود يقول : « وكل النساء في الأرض يحلمن بالرجل الكريم الشجاع الحليم ، وحينما تصرح بأنها تريده رجلًا بكل معنى الكلمة ، فإنما تعني هذه الصفات في حقيقة الأمر .

وتحب المرأةُ الرجلَ الطاهرَ الذيلِ العفيف .

عقد الدكتور ج . كارنو في كتابه « مرشد الحب » فصلًا عن وجوب توفير العفة « كصفة أساسية في نجاح وتقدم المجتمعات ، » وأكد بشكل حازم أن العفة شرط الرجولة ، فهي مظهر السلامة والصحة والإرادة الحرة » ولاح باللائمة على التهتك والمجون ، فالمتهتك سرعان ما يغدو شهوانيًا ، لا هدف له في الحياة سوى الاستزادة من اللذات الجنسية ، التي تخنق فيه كل شعور رقيق ، وتحرره من اللطافة وطيبة القلب »[1] .

وتحب المرأة في الرجل تمتعه بالأخلاق الفاضلة .

يقول الفيلسوف الانجليزي برتراندرسل في كتابه « الأخلاق والزواج » : « إن العلاقات العاطفية بين المتزوجين وغير المتزوجين من رجال ونساء ، خارج دائرة الحياة الزوجية هي سبب شقاء الأزواج ، وكثرة حوادث الطلاق » . عن مجلة المجتمع الكويتية ١٩٧١/٣/٢م .

قال تعالى : ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ [النور: ٣٣] .

وتحب المرأة في الرجل أن يسمع لها كثيرًا وينصت . وتحب فيه أن لا يتدخل كثيرًا في صغار أمور البيت

(١) عن كتاب الزواج الإسلامي أمام التحديات د.محمد علي ضناوي (٢٠/١) .

والمطبخ ، وتحب فيه أن يتعاطف معها إذا اشتكت وأكثرت من الحديث .

وتحب المرأة في الرجل القوَّام ، السهل ، اللين ، الواضح ، الحازم ، الذي يكثر من مدحها والإعجاب بها والتلطف معها .

ولا تحب المرأة في الرجل :

١ - أن يكون غامضًا صاحب أسرار ، خاصة في الأمور الاجتماعية والعلاقات .

٢ - أن يتأخر عن مواعيد الرجوع المعتادة إلى البيت .

٣ - أن يقضي جل وقته مع أصدقائه ، وفي المقاهي ، دون الاهتمام ببيته .

٤ - أن يتأخر عن تلبية حاجات ومتطلبات البيت والأسرة .

٥ - أن يتحدث عن مشاكل البيت والأسرة لأهله ووالديه .

وتحب المرأة في الرجل أن يكون كفأً لها ، أو أعلى منها شأنًا ، وليس أدنى منها كفاءة .

ومن أجل كفاءة الرجل للمرأة ، توسع الفقهاء كثيرًا في شروط كفاءته لها ، وتساهلوا في كفاءتها له ، فلم يشترطوا فيها سوى الدين والخلق ، بينما اشترطوا في الرجل :

عند الحنفية : ١ - الدين ٢ - والنسب

عند المالكية : ١ - الدين ٢ - والحرية

٣ - والسلامة

عند الحنابلة : ١ - الدين ٢ - والنسب

٣ - والحرية ٤ - والمال

عند الشافعية : ١ - الدين ٢ - والنسب

٣ - والحرية ٤ - والصناعة (المهنة)

٥ - والسلامة

من هذه الشروط نجد تطور في زيادة شروط كفاءة الرجل للمرأة ، وهذا إن دل فإنما يدل على تطور المجتمع الإسلامي من ناحية ، وارتفاع سقف شأن المرأة في ذلك المجتمع ، وهذه ليست قيودًا صارمة بمقدار ما هي شروط عامة تفعَّل عند التنازع ، وعدم الرضى ، وسوء الاختيار .

ولكن من النصح للفتاة وأهلها أن نقول : الحكمة تقتضي عدم الغلو في المثاليات ، والنظر بواقعية إلى مستوى الفتاة وصفاتها ، حين النظر إلى صفات الشاب المتقدم للزواج ، لأن التشدد في هذا الأمر يؤخر زواج الفتاة ويقلل الرغبة بها ، مما يجعل القطار يفوتها ، فكم من فتيات فاتهن القطار ، لأنهن انتظرن طويلًا فتى الأحلام الذي يتمتع بمركز مرموق ، فتجاوزن الثلاثين وعنسن .

وفي الختام نقول ما قاله شكسبير : « المرأة لا تطلب في حياتها إلا رجل ، فإذا جاء الرجل طلبت منه كل شيء » .

٥ - فتاة الأحلام :

من هي فتاة الأحلام المطلوبة المرغوبة ؟

في كتب التراث الشيء الكثير عن صفات المرأة المرغوبة للزواج « الصالحة للفخر بها في بناء الأسرة وتربية الأبناء ، والسبب في ذلك أهمية دورها في نجاح الحياة وسعادتها ، بالإضافة إلى نجابة الأبناء ، وسلطة حكم القيم في تلك المجتمعات السالفة .

ذكرنا فيما سبق كثيرًا من الصفات المرغوبة في المرأة أو المرغبة بها ، « ولقد كانت حاجة الرجل إلى المرأة فيما مضى - عدا العصور الإسلامية الزاهية - مبنية في الأساس على مطالب جنسية أو للإنجاب ، لكن حاجته اليوم تطورت إلى الحاجة إلى امرأة تشاركه حياته بكل ملامحها ومعالمها .

ولكن الرجل ينجذب أكثر إلى المرأة الكاملة الأنوثة ، وهذه تتجاوز مقاييس الجسد وجماله ، إلى أنوثة الروح والشخصية ، في معنى النعومة - والحياء - والهدوء - والوجه البشوش - وحنان المرأة شيء يطلبه كل الرجال .

فالرجل في حقيقة الأمر طفل كبير ، يود لو يعود إلى طفولته ، حيث يجد حنان أمه ودفء صدرها ، لذا يرغب

أن تمنحه زوجته نفس الحنان ، فلا شيء يزيل هموم الرجل وآلام صراعه الدائم مع الحياة ، سوى وضع رأسه على صدر زوجته ، بينما يدها تداعب شعره ، وصوتها الناعم يخفف عنه ما يعانيه ويشقى منه » [1] .

يحب الرجل في المرأة طيبة قلبها ، والذكية تثير اهتمامه ، والجميلة تأسره ، ولكن العطوف الرقيقة هي التي تحصل عليه في النهاية .

يحب الرجل في المرأة العربية ، حلمها - وصبرها - وعفوها - وودها ، ولهذا قال أحدهم لزوجته شعرًا :

خذي العفو مني تستديمي مودتي
ولا تنطقي في سورتي حين أغضب
ولا تكثري الشكوى فتذهب بالهوى
فيأباك قلبي والقلوب تقلَّب
فإني رأيت الحب في القلب والأذى
إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

والمرأة التي لا تستطيع بذكائها أن تجعل من نفسها محبوبة لدى أفراد أسرتها ووالديها ، لن تصبح من الذكاء بحيث تستطيع المحافظة على زوجها بعد أن تحصل عليه .

قال الإمام علي : شر خصال الرجال ، خير خصال

(١) د . سامي محمود في كتابه كيف تختار نصفك الآخر ؟ (١٧) .

النساء : البخل - الزهو - الجبن .

يحب الرجل في المرأة : أن لا تنشغل بأولادها عنه ، ولا بمجتمعها عن أسرتها وبيتها ، ولا بزينتها ولباسها عن الوقت والمواعيد ، ولا بالمظاهر والأثاث عن تربية الأبناء ، ولا بالوظيفة ومركزها عن أطفالها .

نشرت الأهرام إحصائية بين سيدات يمتلكن مراكز كبيرة في شركات ألمانية ، سئلت كل واحدة : هل تفضل نجاحها في العمل أم نجاحها في الحياة الزوجية ؟ فأجابت كلٌ منهن بأنها تفضل النجاح في حياتها الزوجية على النجاح في عملها ، وأنها مستعدة للتضحية بعملها ومركزها الكبير ، ولا يمكن أن تضحي ببيتها وزوجها وأولادها [1] .

يحب الرجل في المرأة : أن لا تعلق شعورها بالسعادة على شيء غير كونها زوجته .

ويحب الرجل في المرأة : أن لا تكون حمقاء - ثرثارة - عصبية - متقلبة المزاج .

ويحب الرجل في المرأة : أن لا تكون قذعة اللسان دأبها السباب والشتم واللعن ، وأن لا تكون مسترجلة خشنة شديدة ، ولا أن تكون محبة للجدل والخصومة ، ولا عالية الصوت عنيفة الحجاج .

---

(١) بتاريخ (٢١/١٢/١٩٦٠م) .

وفي العقد الفريد ذكر صفات المرأة السيئة فقال :

سليطة اللسان كأن لسانها حربة ، وكلامها وعيد وصوتها شديد . تدفن الحسنات وتفشي السيئات ، تعين الزمان على رجلها ولا تعين رجلها على الزمان ، ليس في قلبها رأفة ولا عليها منه مخافة . إن دخل خرجت وإن خرج دخلت ، وإن ضحك بكت وإن بكى ضحكت ، إن طلقها كانت له حريبة ، وإن أمسكها كانت عليه مصيبة . حمقاء لا تحسن عملًا ، كثيرة الدعاء قليلة الإرعاء ، تأكل بشراهة مقذذة ، وتكثر من الذم ، صخوب غضوب ، بذية دنية ، ليس تطفأ نارها ولا يهدأ إعصارها ، صدرها ضيق لا تعرف الحياء ، طفلها هزيل ضعيف ، وبيتها مزبول قذر ، إذا حدثت تشير بالأصابع وتبكي في المجامع ، غير محتشمة في ملابسها ، نباحة كثيرة الصراخ على بابها ، تبكي وهي ظالمة ، وتشهد وهي غائبة ، قد ذل لسانها بالزور وسال دمعها بالفجور .

قال بعض العرب : لا تنكحوا من النساء ستة :

١ - **الأنانة** : المراضة كثيرة الأنين .

٢ - **المنانة** : تمن وتكثر المن على زوجها .

٣ - **الحنانة** : تحن إلى زوج آخر أو ولدها منه .

٤ - **البراقة** : تأكل وحدها وتغضب على الطعام .

٥ - **الحداقة** : تحدق عينها على كل شيء ترغبه فتكلف الزوج شراءه .

٦ - **الشداقة** : كثيرة الكلام ثرثارة .

وأوصلها بعضهم إلى العشرة فأضاف إليها :

٧ - **المختلعة** : التي تكثر طلب الخلع والطلاق .

٨ - **المبارية** : المباهية في الدنيا ونعيمها .

٩ - **الناشز** : التي تعلو على زوجها بالقال والفعال .

١٠ - **العاهرة** : الفاسقة التي لا ترد يد لامس .

ويحب الرجل من النساء : الحنون ، بملاحظة أخلاقها في حنوها على الصغار ، وحسن تدبيرها لمال أهلها ، وبالتالي حفظها لمال زوجها ، وتعرف هذه الطباع من نساء العائلة ، والعلاقات الأسرية بين أفرادها .

يحب الرجل في المرأة : أن تعتني بجمال روحها وذلك بالإيمان والأدب ، كما تعتني بجمال جسدها وهذا بالطهارة والنظافة ، وأن تعتني بجمال عقلها ويتم بالعلم والحلم ، وأن تعتني بجمال بيتها بحسن إدارته وترتيبه .

يحب الرجل في المرأة أن لا تكون :

١ - سهلة المنال ، لأنها بذلك تثير اشمئزازه .

٢ - متبذلة ، لا تعتني بنفسها وزينتها أناقةً وذوقًا .

٣ - ضعيفة الشخصية ، تجعل من نفسها تبعًا لأمها أو أهلها .

٤ - مشاكسة عدوانية عصبية المزاج ، حاقدة مرتفعة الصوت .

ه - سليطة اللسان لعانة ، كثيرة السباب والاغتياب .

لا يحب الرجل المرأة المتبرجة شديدة التبرج ، التي تلفت انتباه جميع العابرين والمشاهدين ، مما يثير اشمئزاز الناس الأسوياء .

أعلن البرلمان الإنجليزي سنة ١٧٠٠م ما يلي :

« كل امرأة أيًا كان سنها ، أو مركزها الاجتماعي ، أو مهنتها أو درجتها العلمية ، سواء أكانت عذراء أم سبق لها الزواج أو أرملة ، تحاول بعد فرض هذا القانون ، أن تغري بالزواج أي رجل من رعايا الملك ، بوسائل العطور والمساحيق وأدوات الزينة المختلفة ، أو الأسنان الصناعية والشعر المستعار ، والأحذية ذات الكعب العالي أو الأرداف المحشوة ، فسوف تقع تحت طائلة القانون الذي شرع الآن ضد السحر والشعوذة ، وتعد مرتكبة جنحة ، كما سيعد زواجها باطلًا »[١] .

(١) د . سامية حسن الساعاتي في كتابها الاختيار للزواج والتغير الاجتماعي (٢٣) .

يا سبحان اللّه على تبدل الأحوال اليوم ، في سن قوانين منع الحشمة ومنع الحجاب ، لئلا تتشوه مناظر اللقطات التصويرية على الشواطئ أو في المدارس ، أو في القنوات الفضائية ولقطات الفيديو كلب اللاهث .

ولكن الحمد للّه الذي نصر دينه فعاد الناس إلى الحشمة والاحتشام ، وكثّر التائبين والتائبات من الفنانين والفنانات ، والمراهقين والمراهقات ، والمفكرين والمفكرات ، في الشمال والجنوب .

ولقد جمع رسول اللّه ﷺ صفات المرأة فتاة الأحلام في ثلاث كلمات من جوامع كلمه ﷺ فقال : « **ألا أخبرك بخير ما يكنز المرء ؟ المرأة الصالحة ، إذا نظر إليها سرته ، وإذا أمرها أطاعته ، وإذا غاب عنها حفظته** » [1] .

ثالثًا - الرؤية والتحقق :

١ - الرؤية والنظر :

بعد جمع المعلومات عن فتاة أو أكثر ، إذا كانت مطابقة للرغبة والشروط الموضوعة مسبقًا ، تأتي مرحلة الغربلة واتخاذ قرار خطبة إحداهن ، فإذا حصل الخاطب على الموافقة المبدئية للتقدم إليها ، قام بتحديد موعد زيارة أهلها

---

(١) أخرجه أبو داود عن ابن عباس ﷺ .

أو ولي أمرها ، ليتم التعارف بينهم وبينه مباشرة ، بعد أن تعرفوا عليه عن طريق الوسطاء ، وتعتبر هذه المرحلة مرحلة اختبارية بين الطرفين .

فإذا تم الاتفاق على بعض الأمور الجهازية أو بدونها ، تأتي مرحلة رؤية الخاطبين بعضهما أو لقائهما وجهًا لوجه ، للتحقق من الصفات الشكلية المقدمة سابقًا عنهما ، من أجل اكتشاف الشعور بالألفة أو النفرة بينهما ، ومن ثم تلمس عناصر الشعور بالانسجام ، وهاتان درجتان من درجات علاقة الحب بين الناس ، ويأتي تحقيق الدرجات الأخرى في علاقة الحب بين الخاطبين بعد العقد والزواج .

قال رسول الله ﷺ : « **إذا خطب أحدكم المرأة ، فإن استطاع أن ينظرمنها إلى ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل** » [١] .

ولقد فسر ابن القيم في كتابه روضة المحبين حديث : « **انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما** » [٢] « أي يلاءم ويوفق ويصلح ، ومنه الأدم الذي يصلح به الخبز ، فإن التناسب الذي بين الأزواج من أقوى أسباب المحبة » .

ولهذا يعتبر التسرع في الموافقة على شريك الحياة بلا تبصر ولا تدقيق ، من أهم مشكلات الزواج وصعوباته

(١) أخرجه أبو داود عن جابر ﷺ .

(٢) أخرجه الترمذي عن المغيرة بن شعبة وعن غيره .

وسرعة انحلاله .

ولهذا يراعي الخاطب أثناء زيارته لبيت العروس ، السؤال عن البيت الذي ربيت فيه ، وتلمس صلاح والدتها ، والمثل يقول : « قبل أن تضمها اسأل عن أمها » ، وأن يكون بينهما درجة من التوافق في المشرب والطباع والخُلق .

ولا يغض بصره في هذا الموضع ، ولا ينكس رأسه خجلًا ، كما هو عادة كثير من أبنائنا في مثل هذه المواقف ، نتيجة التربية المذبذبة بين الشدة والانفلات ، بل يدقق النظر جيدًا كما علَّم رسول اللّه ﷺ أصحابه الكرام قائلًا : « **إن في أعين الأنصار شيئًا ، فإذا أراد أحدكم أن يتزوج منهن ، فلينظر إليهن** » (١) لأن للعيون لغة لا تستطيع كلمات المعاجم التعبير عنها ، وقد تكشفت بعض دلالاتها في العصر الحالي ، من خلال علم الهندسة النفسية ، أو ما يعرف بالبرمجة اللغوية العصبية .

قال الشاعر :

وتعطلت لغة الكلام فخاطبت
عيني في لغة الهوى عيناك

٢ - السؤال والحوار :

ولا يُكتفى اليوم من الزيارة بمجرد النظر والرؤية ، التي

(١) أخرجه مسلم عن أبي هريرة ﷺ .

كانت تتم أيام الآباء والأجداد ، هذا إن حصلوا عليها ، وليس هذا ترفعًا عن مستوى حياتهم ، فإن للأبناء زمان غير زمانهم ، وكانت حياتهم من الفطرية بدرجة لا يحتاجون فيها حتى إلى مجرد السؤال .

بينما نحن اليوم نشقى بحياة أقل ما يقال فيها أنها معيشة ضنكى ، والمتخبط فيها أعمى ، ولهذا وضع مختصو العلاقات الأسرية جملة من الأسئلة الحوارية لاكتشاف شخصية شريك الحياة ، وهذه الأسئلة ليست اختبارًا أو تحقيقًا ، وإنما هي سبيل للتعرف الجيد ، المؤدي إلى أن يثمر قرارًا ناجحًا وزواجًا موفقًا ، على أن تطرح الأسئلة بطريقة عفوية على مراحل ، ومع ذلك فهي وحدها لا تشكل من المعلومات المقدار الكافي لاتخاذ القرار الناجح ، وإنما تقرب إليه فحسب .

وإليك جملة من الأسئلة المشتركة :

س١ : ما هدفكِ في الحياة ؟ وما هو طموحكِ المستقبلي ؟

س٢ : ما هو تصورك لمفهوم الزواج ؟

س٣ : ما الصفات التي تحب أن تراها في شريك حياتك ؟

س٤ : ما السنة المناسبة من زواجنا لنقرر الإنجاب بإذن اللّه تعالى ؟

س٥ : ما المشاكل الصحية أو الخلقية التي تعاني منها

لا سمح الله ؟

س٦ : ما رأيك بالعلاقات الاجتماعية ؟ ومن هم أعز أصدقائك ؟

س٧ : ما علاقتك بوالديك ؟ وكذلك إخوانك وأرحامك ؟

س٨ : ما الأمور التي تقضي بها وقت فراغك ؟ وما هواياتك ؟

س٩ : ما النشاط الخيري أو التطوعي الذي تقوم به ؟ ولصالح من ؟

س١٠ : ما رأيك في تدخل الأهل في حياتنا الشخصية ؟

وهناك مجموعة من الأسئلة الفردية : الخاصة بكل من الخاطب أو المخطوبة ، تصاغ بطريقة تناسب كل منهما ، وهي تمس الأمور التالية :

أسئلة تتعلق بالنظرة إلى الحجاب أو اللباس (المموّض) - والسفر - والعمر - والعمل - والتحصيل العلمي - والسكن - والمثل الأعلى - وما الذي يعجب الرجل في المرأة ؟ - وما الذي يعجب المرأة في الرجل ؟ - وتقدير البيت - ولا يُنْسَى سؤال حدثني عن شخصيتك ؟

ويعتبر الارتياح النفسي في الحوار عامل إيجابي مع غلبة الإجابات المناسبة ، وليس كذلك مع غلبة الإجابات غير

المناسبة ، مما يستدعي التريث في الحكم عليها ، وإعادة الحوارات مرة أخرى ، لعله تتغير الآراء ويكشف عن عدم فهم ، وارتباك في الإجابة .

٣ - التحقق والتأكد :

هناك نوع من الأسئلة التي تعتبر أسئلة ميزان وتحقق ، ويمكن لكل طرف أن يسألها لنفسه أولًا ، ثم يسأل الطرف الآخر عنها ، وهذه الأسئلة تكشف إذا كان بالإمكان أن يكون الزواج سعيدًا أم لا ، وهذه الأسئلة للخاطب أو المخطوبة وهي التالية :

١ - هل تهتم بإسعاد من تحب ؟ والآخرين ؟ .

أم أنك تنتظر الآخرين أن يسعدوك ؟

٢ - هل تشعر بحماس في الاهتمام بحياتكما الزوجية ؟

أم أنك تحرص على إثبات وجهة نظرك ؟

٣ - هل أنت مستعد للتنازل عن كبريائك للوصول إلى التفاهم المنشود ؟

أم تعتبر الخلافات الزوجية مهما كانت ، مدمرة لحياتك ؟

٤ - هل تفكر بآمالكما ورغباتكما حينما تخطط لمستقبلكما في إطار نحن ؟

أم أنك تعتبر الزوج في خدمة زوجه مطلقًا ليس إلا ؟

فإذا كانت الإجابات إيجابية على صلب السؤال ، فمعنى ذلك أن مركب الزوجية يسير باتجاه شاطئ السلامة والسعادة .

رابعًا - الاتفاق والحقوق :

لا بد أن تفرز حوارات الخطبة وما قبلها وما بعدها تصورًا ما عن طلبات الطرفين ، هذه الطلبات التي يتم الاتفاق عليها قبل أو بعد الخطوبة ، ويختلف الأمر من حالة إلى أخرى ، حسب المعرفة بين طرفي الزواج ، فمن الناس من لا يدققون في الطلبات كثيرًا قبل الخطبة ، بناء على تيسير الأمر على الخاطب إذا كانوا متحمسين لقبوله صهرًا لهم ، فيبحثون الأمر معه بعد تقدمه للخطبة رسميًا ، وبعد إعطائه الموافقة على قبوله خاطبًا .

ومن الناس من يشترط شروطه مسبقًا ، ويرفض الموافقة على الخطبة إلا بعد الاتفاق على كل شيء تقريبًا ، وعادة ما يتم الاتفاق على الحقوق بين أهل الزوجين ، ممثلًا في الوالدين أو من ينوب عنهما ، أو تتم مناقشة هذه الأمور بين الخاطبين إذا كانا متقدمين في العمر وليسا في سن الشباب ، ومع هذا في الغالب لا تباشر الفتاة العربية والمسلمة هذه الأمور بنفسها . وتنيب عنها من يتحدث بها ، وحتى تعبيرها عن إيجاب وقبول الخطبة وعقد الزواج تأنف أن

تباشره بنفسها ، محيلة الأمر إلى الأهل والأسرة وولي أمرها .

والعادة أن لا تعطى الموافقة مباشرة ، إلا بعد طلب مهلة لدراسة الأمر والسؤال عن الخاطب ، والتأكد من المعلومات المقدمة عنه ، إلا في حال أن بينهما معرفة مسبقة ، لا يحتاجون فيها إلى السؤال والتحقق ، وفي هذه الحال قد يكون بينهما نوع من الترقب أو التوقع ، وربما التعريض أو العرض لخوض مثل هذا المشروع بينهما ، ويعتبرونه زيادة قرب وشرف بالتصاهر بينهما .

ويتم أمر الاتفاق بين العريس وولي أمر العروس على جملة من الحقوق والواجبات المطلوبة للزواج ، والتي تعتبر من أساسيات أي عقد زواج ، وهي : المقدم ، والمؤخر ، والحلي ، وربما أضيف إليها بعض الشروط الخاصة ، في حال أن الفتى أو الفتاة له أو لها وضع خاص ، مثل أوضاع الدراسة ، أو السفر ، أو الوظيفة ، أو السكن ، أو عدم الزواج بأخرى ، أو نوع الجهاز ، وطبيعة البيت ، وحفلة العرس ، وحجم الوليمة ، ومكانها ، وما شابه ذلك .

وهناك اختلاف بيِّن بين قطر عربي وآخر ، وبين الشعوب الإسلامية ، حسب الأعراف والتقاليد المتبعة في الاتفاق على الحقوق بين الزوجين ، إلا أن الملاحظ أن المعرفة المسبقة بالعريس ، لها أثر كبير في التخفيف من الطلبات والحقوق على العريس ، بل يصل الأمر في كثير من الحالات

إلى ترك الأمر إليه أن يقرر ما يشاء أو ما يقدر عليه منها ، دون أي ضغط أو إثقال كاهله بها ، وربما يعان من قبل أهل العروس على كثير من التكاليف ، بناء على حديث رسول الله ﷺ : « أعظم النساء بركة أيسرهن صداقًا »(١) .

المسلمون اليوم يغالون في المهور ، مع أن الشارع ندب إلى تيسيرها ، إلا أن من الناس من يساير العرف في هذه المغالاة ، لا طمعًا في المال فحسب ، بمقدار ما هو نوع من التعبير عن التخوف على مستقبل بناتهن ، بسبب هبوط مستوى الأخلاق عند الشباب ، وغموض قوة شخصياتهم ، تأثرًا بالتربية الهشة التي يتلقاها شباب اليوم ، ومع ذلك فالمال أقل الضمانات أثرًا في حفظ كرامة بناتنا ومستقبلهن .

خامسًا - أحكام الخطبة :

الخطبة من مقدمات الزواج ، ولها أحكام تناسب ذلك ، منها الأحكام التالية :

١ - الخطبة لا تعتبر عقدًا ولا زواجًا ، بل هي وعد به ، لا إلزام فيها .

٢ - الخطبة شرعت لتعرف الخاطبين على بعضهما ، وعلى أسرهما .

(١) أخرجه الإمام أحمد .

٣ - تعرف الخاطب على المخطوبة يتم بأضيق نطاق في حضور محرم .

٤ - الخطبة شرعت لمنع التسرع في اتخاذ قرار الزواج بشكل غير مدروس .

٥ - لا تباح الخلوة الشرعية بين الخاطبين ، ولا يجوز لمس الخاطب المخطوبة .

٦ - لا يجوز خطبة المخطوبة إذا أعطت الموافقة على الخاطب الأول .

٧ - الهدايا العادية جدًّا ، التي يقدمها الخاطب للمخطوبة ، لا تسترد إذا عدل عن خطبته .

٨ - لا يجوز خطبة المعتدة قبل انقضاء عدتها ، ويجوز التعريض لها لا التصريح بذلك .

٩ - المحافظة على أسرار البيوت في الخطبة ، وكذلك في حال العدول عنها .

١٠ - لا يجوز التصنع ولا التكلف ولا الكذب في الخطبة ، لئلا يضر بالزواج مستقبلًا .

بالإضافة إلى ما ذكرناه عن ضوابط حسن الاختيار ، يبقى أن نقول : إنه ليس هناك عامل واحد وحيد يقرر مصير إنسان رجلًا كان أو امرأة ، ولهذا يقرر خبراء علم الاجتماع

الأسري : « أن الاختيار للزواج سلوك اجتماعي لا يتحدد فقط برغبات الشخص ، بل وفق معايير المجتمع » .

وللمرأة كلمتها في قرار الزواج ، وهذا ما قرره رسول الله ﷺ : « أن بكرًا جاءت رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله إن أبي زوجني ابن أخيه يرفع بي خسيسته ، فجعل الرسول ﷺ الأمر إليها فقالت : قد أجزت ما فعل أبي ، ولكني أردت أن تعلم النساء أن ليس للآباء من الأمر شيء » [1] .

وورد في الصحيحين : « أن خنساء بنت جوزان زوَّجها أبوها وهي كارهة فأتت رسول الله ﷺ فرد نكاحها » ، وأخرج الترمذي قال ﷺ : « **لا تنكح الثيب حتى تُستأمر ، ولا تنكح البكر حتى تُستأذن** » .

* * *

(١) أخرجه الإمام أحمد عن عائشة رضي الله عنها .

الفصل الرابع

عقـد الـزواج

أولا : معنى عقد الزواج .

ثانيا : أركان عقد الزواج .

ثالثا : شروط عقد الزواج .

رابعا : إجراء عقد الزواج .

خامسا : توثيق عقد الزواج .

« الكلمة أعظم ميثاق ، والوفاء أعظم من العقد ، والحب أكبر طاقة » [م.ن.ك] .

الفَصْلُ الرَّابعُ

عقد الزواج

أولًا - معنى عقد الزواج :

عقد الزواج لغة : الضم والجمع .

عقد الزواج شرعًا : « عقد يفيد حل الاستمتاع بين ذكر وأنثى على الوجه المشروع » .

عقد الزواج عقد أساسه العلاقة الوجدانية بين الزوجين ، هذه العلاقة التي وصفها القرآن بالمودة والرحمة ، وأساسها الدين والخلق ، وسماه اللّٰه بالميثاق الغليظ ، وجعله يقوم على نظام متكامل من الحقوق والواجبات ، وأحاطه بقيم البر والوفاء والعفة .

نتائج عقد الزواج الصحيح :

١ - أس العلاقة الزوجية علاقة وجدانية .

٢ - خضوع الزوجين للأنظمة التشريعية وفاقًا أو فراقًا .

٣ - إسناد رئاسة البيت لقوامة الرجل لا لسلطته .

٤ - اشتراك الزوجين في تحمل مسؤولية إدارة البيت وتربية الأبناء .

٥ - خضوع الزوجين لأحكام التوارث والحقوق والواجبات .

ثانيا - أركان عقد الزواج :

توضيحًا للصورة الحضارية لأركان عقد الزواج ، الذي يبين مدى الرقي البشري والتقدم الإنساني والتنظيم الاجتماعي ، الذي أراده الإسلام للعلاقة بين الزوجين ، يحدثنا الإمام أبو حامد الغزالي في كتاب أدب النكاح من كتابه إحياء علوم الدين قائلًا : « أما عقد الزواج فأركانه وشروطه لينعقد ويفيد الحل أربعة : الأول : إذن الولي ، الثاني : رضا المرأة ، الثالث : حضور شاهدين ظاهري العدالة ، الرابع : إيجاب وقبول بلفظ النكاح أو التزويج .

وأركان انعقاد عقد الزواج ما يلي :

١ - أن تكون المرأة أو الرجل حلالًا للزواج من الطرف الآخر .

٢ - موافقة ولي أمر الزوجة . (وبعضهم يعتبره في الشروط) .

٣ - مطابقة صيغة القبول الإيجاب في مجلس العقد .

٤ - أن يعقد بلفظ الزواج أو النكاح منجزًا .

٥ - أن يتمتع العاقدان بأهلية التصرف .

وشروط الانعقاد يعني أن بفقدان أحدها يعتبر العقد باطلًا من أساسه ، ولا يترتب عليه أي التزامات ، ولهذا تعتبر شروط أساسية في العقد .

ثالثا - شروط عقد الزواج :

المقصود بشروط العقد شروط صحته ، وهي أدنى من شروط الانعقاد في الأهمية ، وهي أنواع متعددة ، منها شروط صحة في العقد وضعها الشارع لإتمام كماله ، ومنها شروط يضعها المتعاقدان ، منها ما يعتبر شروطًا مقبولة ، إذا كانت متوائمة مع الأغراض الشرعية من الزواج ، ومنها ما لا يعتبر شروطًا مقبولة ، إذا كانت تتنافى مع الأغراض الشرعية من عقد الزواج ، وإليك بعض التفصيل في هذه الشروط :

أ - شروط صحة عقد الزواج :

١ - أن لا تكون المرأة محرمة على الرجل تحريمًا مؤقتًا أو مشتبهًا به .

٢ - أن تكون صيغة الزواج على التأبيد .

٣ - أن يشهد على العقد شاهدي عدل مسلمين .

٤ - رضا واختيار الزوجين .

٥ - تعين وتحديد وتسمية الزوجين .

٦ - ألا يكون الزوجان أو أحدهما محرمًا بحج أو عمرة .

٧ - الإشهار وهو يعني عدم الاتفاق مع الشهود على كتمان الزواج .

٨ – ألا يعقد الزواج على مريض مرض الموت .

٩ – ذكر مهر مسمى ، وإلا فيعتبر مهر مثيلاتها .

١٠ – رضا الولي وهو الوالد ، أو من يقوم مقامه في حال عدمه .

ب – شروط صحية وقانونية :

١ – **إجراء فحص طبي** : وهذا الشرط من الشروط المستجدة في عصرنا الحالي ، بسبب اكتشاف سبب بعض الأمراض الدموية والوراثية ، والتي قد تؤثر تأثيرًا بالغًا على الأبناء المواليد ، فالفحص الطبي يجعل الزوجين على استعداد تام للوقاية اللازمة والمناسبة .

٢ – **شهادة خدمة العلم** : بعض الدول التي تسن قانون الخدمة العسكرية الإلزامية ، لا تأذن لمن لم يخدم في الجيش المدة المقررة ، أن يعقد الزواج إلا بعد أداء هذه الخدمة ، أو التعهد بعدم طلب الإعفاء منها لإعالة الأبناء .

٣ – **شهادة دورة زوجية** : نتيجة لازدياد المشكلات الزوجية وحوادث الطلاق ، أقامت دولة ماليزيا دورات تثقيفية إلزامية ، لكل من يرغب في الزواج ، ينال بها شهادة تأهله أن يتقدم بها إلى المحاكم لعقد الزواج ، ويطلع من خلال الدورة على حقائق الزواج ومشكلاته وكيفية حلها ، والسلوكيات المساعدة على نجاح وسعادة الزوجين .

٤ – **شهادة إشهار إسلام** : صحيح أن الإسلام لا يتوقف على شهادة أحد ، لأنه اعتقاد بالجنان وقول باللسان : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، بين العبد وربه دون وساطة أحد من الناس ، إلا أن الإنسان غير المسلم في وسط قومه أو بعيدًا عنهم ، يحسب حسب الظاهر على ملتهم ، فإذا تقدم من مسلمة طالبًا يدها للزواج ، لا يصح منه ذلك لاختلاف الدين وإنكاره وحدته ، فإذا زعم أنه مسلم يُطلب منه هذه الشهادة لإجراء العقد له .

٥ – **عدم مخالفة القانون** : بعض الوظائف الهامة في بعض الدول ، يمنع أربابها من الزواج من أجنبيات ، تحصينًا للدولة من تسرب أسرارها خارج القطر ، وخاصة في الدول التي يكون بينها عداء أو حروب أو خلاف عقائدي .

ج – أما الشروط التي تضعها العروس منها :

١ – أن لا يسافر بها إلى مدينة أخرى غير وطنها .

٢ – أن يستأجر لها من يخدمها .

٣ – أن يأذن لها باستكمال دراستها .

٤ – أن لا يتزوج عليها زوجة أخرى .

٥ – أن يطلق زوجته أو زوجاته الأخريات .

٦ – أن يكون أمر طلاقها بيدها .

٧ – أن يسكنها في بيت مستقل عن والديه .

٨ - أن ينفق على أولاد لها من غيره .

٩ - أن يسلمها مؤخر الصداق مقسطًا ، أو في مدة محددة .

١٠ - أن لا يمتنع من الإنجاب بالعزل بغير إذنها ورضاها .

هذه نماذج من الشروط التي قد تخطر على بال الزوجة ، وقد تشترطها في عقد الزواج ، إلا أن بعض هذه الشروط تتعارض مع أغراض عقد الزواج ، ولهذا تعتبر شروطًا مردودة أو غير ملزمة للزوج ، ولا يترتب عليها شيء ، وبعضها يترتب عليها أن تخير الزوجة بطلب الفراق بناء على شرطها ، وبعض هذه الشروط لا تتعارض مع عقد الزواج وأغراضه ، فيلزم الزوج بالوفاء مع القدرة عليه ، إلا أن الاشتراط والتحفظ في العلاقة الزوجية قد يوحي بضعفها ، وفي أحيان أخرى قد يعتبر نوعًا من الوضوح والحرص على الزواج ، إذا كان يلبي احتياجات خاصة في بعض الظروف وعقود الزواج .

رابعًا - إجراء عقد الزواج :

بوابة الزواج التي يُدخَل منها إلى القفص الذهبي كما يقال : هي عقد الزواج ، وقد اعتنى به التشريع الإسلامي أيما اعتناء ، وعلى رغم كونه عقدًا سهلًا يسيرًا ، إلا أن الإسلام أحاطه بجملة من الاحتياطات ، تميزه وتسمو به

فوق أي عقد ماليٍّ مهما كان عظيم الشأن ، إعلاءً لشأن الإنسان أولًا ، وإعلاءً لشأن المرأة العفيفة الطاهرة الرزان ثانيًا ، وإعلاء لشأن الاهتمام بالأسرة ثالثًا ، وتعظيمًا لشأن العلاقات الإنسانية رابعًا ، وتحصينًا للمجتمع من مسببات النزاعات والفساد والإفساد خامسًا .

على خلاف ما يظن كثير من الناس ، فإن عقد الزواج لا يرتبط برجل دين أو إمام مسجد ، بل يرتبط بمعرفة شريعة اللَّه التي هي واجب كل مسلم ، تاجرًا كان أو مدرسا ، قاضيًا أو طالبًا ، جنديًا أو قائدًا ، ولهذا يمكن لولي أمر الفتاة أن يعقد لابنته إذا وكلته بتزويجها على فتى بموافقته ، ولا يحتاج الأمر سوى إلى كلمتي الإيجاب والقبول وشاهدي عدل .

وما يصر عليه بعض الناس من استدعاء رجل دين لإجراء عقد الزواج ليس من لزوميات هذا العقد في شيء ، إلا من باب المعرفة والاختصاص ، ولهذا يسمى من لديه خبرة في إجراء عقود الزواج المأذون ، وهذه التسمية قانونية إجرائية ، منعًا من السلطات لمن لم يؤذن له قانونًا به أن يمارس هذا الأمر ، لئلا يقع الناس بإشكاليات هم في غنى عنها .

وإليك نموذجًا ميسرًا لعقد زواج :

بسم الله الرحمن الرحيم

عقد زواج

الطرف الأول : (الزوج) السيد : ..... بن ....
أمه : ....

المولود في ... بتاريخ : .... / .... / ٢٠٠٠م
رقم بطاقته الشخصية : ....

الطرف الثاني : (الزوجة) السيدة : ....
بنت .... أمها : ....

المولودة في ....

بتاريخ : ..../...../٢٠٠٠م

رقم بطاقتها الشخصية : ....

في هذا اليوم : الاثنين الموافق ل ٣/شوال/١٤٠٠هـ
المصادف لـ ١٥/١١/ ٢٠٠٠ م

اتفق الطرفان على عقد الزواج على منهج الله في كتابه القرآن الكريم ، وعلى سنة رسوله ﷺ بصيغة الإيجاب والقبول المتوافقتين ، بتوكيل الطرف الثاني لولي أمرها ....فلان ..... بإجراء العقد نيابة عنها ، والطرف الأول بالأصالة عن نفسه ،

وقررا الزواج على مهر قدره عشرة آلاف درهم مقدم (قبض أو غير مقبوض) ، وعشرون ألف درهم مؤخر ، وخمسة آلاف درهم نقدًا اشترِيَ بها ذهبًا .

والشروط الخاصة بينهما هي : ..... لا شيء ....

وعليه شهد الشهود ووقع الجميع أدناه ، بارك اللّٰه لهما في زواجهما ، والحمد للّٰه رب العالمين .

	الزوج	الزوجة	ولي أمرها	شاهد أول	شاهد ثاني
الاسم :	.....	......	....	....	....
التوقيع :	.....	......	....	....	....

توقيع	توقيع
كاتب العدل	قاضي المحكمة الشرعية
....	....
......	....

خامسا - توثيق عقد الزواج :

١ - توثيق العقد :

توثيق العقد ليس من شروط انعقاد العقد ؛ ولا من شروط صحته ، لأن هذا أمر مستحدث بتقدم العمران والمدنية ، وهو وثيقة إثبات للعقد ، وليس وثيقة إباحة له ، إلا أن تسجيل وقائع الأحوال المدنية ، ومنها المواليد والزواج والأملاك وحقوق الجنسية ، يستدعي بشكل ضروري وقاهر هذا الإثبات ، لئلَّا يحرم الأبناء والزوجين هذه الحقوق أو بعضًا منها .

٢ - حفظ الحقوق :

حفظ حقوق طرفي أي عقد ، ومن يلوذ بهما من أقارب وأبناء ، لا يتم بغير توثيق هذا العقد ، فكيف إذا كان لهذا العقد آثار خطيرة على السمعة والميراث والنسب كعقد الزواج ، ولهذا شُرِع له أنواعًا من التوثيق متعددة :

أ - أن يشهد على العقد شاهدي عدل .

ب - أن يكتب العقد كاتب عدل .

ت - أن يسجل العقد في الدوائر الرسمية .

٣ - ميثاقًا غليظًا :

ليس هناك توثيق أعظم من توثيق احترام الكلمة ، ولذلك ضرب اللّه مثلًا بالكلمة الصادقة الطيبة ، فقال :

﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٌ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ [إبراهيم: ٢٤] ولهذا سمى الله تعالى عقد الزواج وما شرع له من توثيقات بالميثاق الغليظ قال تعالى : ﴿ وَأَخَذۡنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴾ [النساء: ٢١] .

ولهذا تبقى الأخلاق واحترام الكلمة والوفاء بالعقود ، من أعظم الضمانات لما يتفق عليه الزوجان ، إلا أن ما يعضد الضمان المعنوي الأخلاقي ، أن يضاف إليه وسائل الضمان المادي الإجرائي ، ولهذا شرع الإسلام توثيق العقود ، بناء على قاعدة الحديث النبوي الشريف : « **اعقلها وتوكل** » ، ولهذا قال عمر بن الخطاب ﷺ : « لست بالخب ولا الخب يخدعني » ، ولهذا لا ينبغي لعاقل ولا لعاقلة أن يرضيا بعقد زواج دون توثيق .

* * *

الفصل الخامس

حقوق وواجبات الزوجين

أولاً : فلسفة الزواج .

ثانيا : حقوق مشتركة .

ثالثا : حقوق الزوجة .

رابعا : حقوق الزوج .

خامسا : حقوق الأهل .

« لا يفرك مؤمن مؤمنة ، إن كره منها خلقًا رضي منها آخر » رسول الله ﷺ [مسلم] .

الفَصلُ الخَامِسُ

حقوق وواجبات الزوجين

أولاً - فلسفة الزواج :

لقد احتار الفلاسفة والمفكرون والشعراء والأدباء وعلماء الاجتماع ، في فهم وإدراك مفهوم الزواج وفلسفته ، فمنهم من أداره حول الدافع الأولي (البيولوجي) البحت ، ومنهم من أداره حول الدافع الثانوي الجمالي ، إلى آخر ما هنالك من دوافع أخرى كثيرة للزواج ، إلا أننا لا نعدم الفهم الصحيح لفلسفة الزواج إذا التفتنا إلى المنهج القرآني والنبوي الأصيل .

١ - السكن النفسي :

القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ [الروم : ٢١] ، حدد الإطار العام لحكمة الزواج ، والأساس الذي يقوم عليه ، ألا وهو الحاجة إلى السكن النفسي ، من خلال نزوع الإنسان إلى الشبيه والمكمل ، والميل إلى الجنس الآخر ميل إلى استكمال الفطرة .

ومن وراء ذلك حكم عظيمة ، منها ستر النواقص التي لا يخلو منها إنسان بما أنه إنسان ، وعبر عنها القرآن الكريم أوضح تعبير في قوله تعالى : ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ

لَّهُنَّ ﴾ [البقرة: ١٨٧] ، وهذا المعنى يوحي بالفائدة التي يتضمنها الزواج للفرد ، كما يعود اللباس عليه بالفائدة نفسها وزيادة ، ومنها الستر ، والوقاية ، والحماية ، والدفء ، وزينة ، وتعويض ، وكمال ، والتعاون على أعباء الحياة ، والاشتراك في الاستمتاع بها ، إلى ما هنالك من فوائد أخرى كثيرة لا حصر لها .

٢ - معرفة الفضل :

الإنسان كائن اجتماعي مدني بالطبع ، وهذا الاجتماع قائم على المعرفة والتعاون ، ولهذا ذكره القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴾ [الحجرات: ١٣] ، وخير ما يمثل حقيقة التعاون الناجح ، كما أمر الله تعالى في قوله : ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾ [المائدة: ٢] هو التعاون التكاملي المستند إلى مصالح معرفية إنسانية خيرة دائمة ، أرفع من المصالح الآنية المادية البحتة ، وهذا ما يجمع الآيتين السابقتين في فضيلتي التعاون والتعارف معًا .

٣ - الحب والمودة :

إذا كان الحب هو المحور الذي تدور بفلكه كل القيم الروحية ، والعلاقات الإنسانية والاجتماعية ، والسعادات الدنيوية والأخروية ، فإن افتقاده يُبهِت القيم الأخلاقية المستندة إليها ، ويدمر الحياة البشرية أيما تدمير ، ولهذا جعل

القرآن الكريم المودة وهي أعلى مرتبة من الحب ، وأوسع وأشمل وأدوم ، أساس العلاقة الزوجية ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ [الروم: ٢١] .

والحب الزوجي ليس مجرد عاطفة ، وليس مجرد إعجاب ، وليس مجرد متعة وانجذاب ، إنه ما يتبقى بعد هذه الأمور كلها ، والحب نمو إيجابي بمشاعر الإنسان على الدوام بأكثر مما هو السعادة والفرح الروحيين ، وهو قريب من الشعور بالتوحد مع الحبيب .

ثانيا - حقوق مشتركة :

عقد الزواج ينشئ حقوقًا متبادلة بين الزوجين ، وعلى الرغم من أن الإسلام أعطى لكل من الزوجين الحق في أن يملي شروطه الخاصة ، التي لا تتعارض مع الغرض من الزواج ، إلا أنه ضبط هذه الحقوق وما يقابلها من واجبات بقاعدة قرآنية في قوله تعالى : ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ [البقرة: ٢٢٨] وأكدها في حديث نبوي صريح قوله ﷺ : **« ألا إن لكم على نسائكم حقًا ، ولنسائكم عليكم حقًا »** (١) .

وهذه بعضٌ من الحقوق المشتركة بين الزوجين :

١ - الاحترام والتقدير ، لأنه مناط حسن التعامل بين الناس .

(١) أخرجه الترمذي عن عمرو بن الأحوص .

٢ - الحب والمودة ؛ لأنه سبب الأنس والألفة والسكن .

٣ - الاستمتاع المباح بين الشريكين ؛ لأنه أحد دواعي الزواج .

٤ - حق الإنجاب والولد ، وعدم العزل إلا بالتراضي .

٥ - احترام وتقدير أهل كلٍّ من الزوجين .

٦ - المعاشرة وحسن المعاملة بالمعروف .

٧ - تقديم النصح والمشورة بلياقة وأدب .

٨ - غيرة وحرص كل منهما على الآخر باعتدال .

٩ - حفظ كل من الزوجين مال الآخر .

١٠ - التوارث بين الزوجين حال الوفاة .

١١ - حفظ الأسرار الزوجية والأسرية .

١٢ - تزين كل من الزوجين للآخر .

ثالثا - حقوق الزوجة :

الزواج ليس عقد بيع أو شراء ، وليس عقد ملك أو تملك ، وليس سلطة أو تسلطًا ظالمًا ، بمقدار ما هو علاقة إنسانية راقية وسامية . ولذلك ليس فيه ذوبان لطرف في شخصية الطرف الآخر ، بل تبقى لكل منهما شخصيته الذاتية المستقلة ، التي ينميها الزواج ويسمو بمواهبها وقدراتها . التي تغدو نموذجًا للرفعة والسمو لأفراد الأسرة ، ولهذا تستقل الزوجة تبعًا لذلك بحقوق خاصة بها ، بما فيها

اسمها واسم عائلتها وكنيتها ولقبها .

ومن هذه الحقوق الخاصة بالزوجة ما يلي :

١ - كفاءة الزوج للزوجة لحديث : « **الناس معادن كمعادن الذهب والفضة ..** »[١] .

٢ - المهر أو ما يسمى بصداق المثل ، إلا إذا تنازلت عنه .

٣ - النفقة على معيشة الزوجة ومستلزماتها بالمعروف .

٤ - السكن اللائق المناسب لمكانة المرأة وإمكانات الزوج .

٥ - عدم السفر عنها طويلًا بغير عذر .

٦ - العدل بين نسائه إن كان معددًا .

٧ - تعليمها ما يلزمها من العلوم الشرعية .

٨ - ترغيبها بخدمة نفسها وبيتها دون إكراه .

٩ - حمايتها في نفسها وعرضها ، دون حجر أو حبس .

١٠ - التصالح مع زوجها بحط جزء من حقوقها عليه لإرضائه .

رابعًا - حقوق الزوج :

لاختلاف طبيعة كل من الرجل والمرأة الفطرية ، تختلف تبعًا لها حقوق كل من الزوجين ، وهذا ما أكده القرآن الكريم على لسان ابنة عمران في قوله تعالى : ﴿ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ

(١) ر.الشيخان .

كَٱلْأُنثَىٰ ﴾ [آل عمران: ٣٦] ولهذا كان للزوج حقوقًا تناسب فطرته والواجبات الملقاة على عاتقه ، ولا تعتبر هذه الحقوق تمييزًا أو تسلطًا ، بمقدار ما تعتبر مناسبة للدور المناط عليه القيام به ، وتتميمًا لدور الاستخلاف والسعادة المكلف بتحقيقهما.

ومن هذه الحقوق الخاصة بالزوج ما يلي :

١ - حق القوامة على الزوجة والأسرة .

٢ - طاعة الزوجة لزوجها بالمعروف .

٣ - التزام الزوجة بيت الزوجية وإيذانه بالخروج .

٤ - حفظ الزوجة الزوج في نفسها وماله وأولاده .

٥ - تأديب الزوج زوجته في حال نشوزها ، بالطرق والوسائل الشرعية .

٦ - السفر بالزوجة حال كونه سفرًا مأمونًا .

٧ - أن يكتم عن زوجته قدر أمواله وأملاكه بلطف وكياسة .

٨ - أن تربي الزوجة أولاده على الصلاح والتقوى .

٩ - أن لا تُدخِل أحدًا يكرهه بيته إلا بإذنه .

١٠ - أن لا تمتنع من فراشه وهي تستطيع .

خامسًا - حقوق الأهل :

باعتبار أن عقد الزواج يتجاوز في آثاره العلاقة بين

فردين ، إلى آثار تطال أسرتيهما ، لهذا رتب الشارع حقوقًا تتعلق بأهل كلٍّ من الزوجين على القاعدة الأصولية المعروفة « الغنم بالغرم » ، ولهذا كانت حقوق الأهل من الأسرتين مرعية ومعتبرة ، وبخاصة حقوق أهل الزوجة ، لما في الإسلام من شدة التأكيد على رعاية المرأة وحفظ حقوقها ، وضمان عيشها الكريم ، ويقصد بالأهل الوالدين والأخوة والأخوات ، والأقارب الأقرب فالأقرب من الأعمام والأخوال ، فالأقربون أولى بالمعروف ، وهذه الحقوق هي :

أ - من حقوق أهل الزوجة :

١ - موافقة ولي أمرها على زواجها .

٢ - أن تتزوج الرجل الكفء لها .

٣ - بقاء نسبهم في اسمها وتسميتها .

٤ - أن يرثوها وترثهم في حال الوفاة .

٥ - أن لا حرج من أن يدخلوا بيت زوجها وتدخل بيوتهم .

٦ - أن لا حرج من أن يأكلوا من طعامها ، وتأكل من طعامهم بالمعروف .

٧ - أن يمثل أحدهم حكمًا ينوب عنها برضاها في حال الاختلاف للإصلاح بينهما .

٨ - اعتبار أولادها من زوجها من الأسرة ، لقول النبي

ﷺ : « ابن أخت القوم منهم » [1] .

٩ - انتقال حق النفقة على ابنتهم إلى الزوج .

١٠ - صيانة الزوج عرض ابنتهم وسمعتها وحفظ أسرارها .

ب - من حقوق أهل الزوج :

١ - الاحترام والتقدير والبر بهم .

٢ - أن يحمل الأبناء نسبهم وشهرتهم (اسم العائلة) .

٣ - أن يرثوا الزوج والأبناء ويرثوهم في حال الوفاة .

٤ - أن يحكم علاقتهم بالزوج وأبنائه نظام التكافل والنفقة الشرعية .

■ - أن لا حرج من أن يطعموا من طعام ولدهم ، وأن يطعم أبناؤه من طعامهم..

٦ - ثبوت حرمة المصاهرة من زوجته لوالد الزوج .

٧ - بقاء نظام الحجاب بين الزوجة وفروع أصول الزوج من الذكور .

٨ - أن لا تُدخِل على نسبهم هجينًا .

٩ - أن تكون الزوجة حاجزًا بين أسرارهم وانتقالها إلى الآخرين .

١٠ - التزاور بينهم وبين ولدهم وأسرته .

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي عن أنس .

كيف تخطط لمشروع زواج ناجح ؟

الفصل السادس

ليلة الزفاف

أولاً : الثقافة الجنسية .

ثانيًا : الهدية والتهادي .

ثالثًا : الفرح والغناء .

رابعًا : اللقاء والتعاهد .

خامسًا : ليلة الزفاف .

« على رِسْلِكَ كما أنت ، بيِّنْ لي ما تحب فآتيه ، وما تكره فأتركه » [زوجة شريح القاضي (ليلة زفافها)] .

الفَصلُ السَادِسُ
ليلة الزفاف

أولاً - الثقافة الجنسية :

١ - مفاهيم في الثقافة الجنسية :

تحدثنا في فصل سابق نبذة عن المعرفة الجنسية ، ونتحدث في هذا الفصل من زاوية أخرى عن الثقافة الجنسية ، وقد يتبادر إلى أذهاننا سؤال كبير فحواه : هل هناك ثقافة جنسية في تراثنا وديننا ؟ الجواب بكل يسر وقوة : نعم .

ثقافتنا الجنسية هي ثقافة العفة والمعرفة معًا ، وليس في ثقافتنا الدينية والحضارية استئصال لها ، وإنما حدث هذا الاستئصال المعرفي والثقافي في عصور الانحطاط والجمود بسبب انتشار ثقافة الانحلال ، فكان رد الفعل على ذلك بتحكيم الأعراف والتقاليد المتزمتة ؛ لأنها بدت كنموذج مثالي مقابل نموذج التحلل والانحلال وانحطاط الأخلاق .

ما ماهية الثقافة الجنسية ؟ إذا اتفقنا على أن الإسلام لا يخلو منها ، بسبب شموليته وكماله من ناحية ، وصلاحيته لكل زمان ومكان من ناحية أخرى .

المقصود بالثقافة الجنسية : كل ما يتعلق بها من مفاهيم الحب ، والزواج ، والنكاح ، والمرأة ، والرجولة ، والأنوثة ، والنسل ، والعرض ، والحجاب ، والحشمة ، والأبوة ،

والأمومة ، والعفة ، والشرف ، والحسب ، والنسب ، والملاعبة ، والرفث ، والزينة ، والتزين ، والإحصان ، وما يناقض هذه المفاهيم بمعرفة أضدادها .

وهناك مفاهيم فيها نوع من الغلو الطرفي الذي لا ينسب إلى المفاهيم الصحيحة ، ولا إلى المفاهيم المغلوطة ، وإنما لها سياقها الخاص مثل : العشق ، والهيام ، والغريزة ، والعنوسة ، والعزوبة ، وما قارب هذه المفاهيم الحيادية التي تقبل الصح والخطأ من السلوكيات حسب السياق .

بضدها تتميز الأشياء ، والعاقل اللبيب من عرف الفرق بين المفاهيم الصحيحة للثقافة الجنسية وأضدادها مثل : الكره ، والطلاق ، والسفاح ، والمسترجلة ، والمخنث ، والعقم ، والسفور ، والخيانة ، والوضاعة ، والخشونة ، والقذارة ، والزنا ، واللواطة ، وما يتبعها من مفاهيم مشوهة للثقافة الجنسية الصحيحة .

٢ – الحب في الثقافة الجنسية :

الحب في الثقافة الجنسية شوِّه في العصور المتأخرة ، حتى غدا من المفاهيم المعيبة والمحرمة ، مع أنه في الأصل من أسس حياتنا الإسلامية الصحيحة ، لكن اللبس وقع حين خُلط بين الحب الحلال والحب الحرام ، الذي لا يمكن تسميته حبًا بأي حال من الأحوال ، إلا على سبيل الرمز والمشاكلة ،

فالحب الحلال أن تهفو النفس إلى من يسعدها ويكمل نقصها ويشاكل طباعها ويكمل دينها .

والحب الحقيقي الخالص لا يتلبس بأي أذية أو حرام ، وإنما هو ميل إلى من يجتذب القلب والعقل ، فيتبعه ميل عن الميل للكف والعف إلا بحقه ، كما قالت ابنة عم صاحب الغار - في الحديث المشهور - لابن عمها المحب : « لا تفض الخاتم إلا بحقه » .

ولهذا ورد في السيرة النبوية أن والد النبي ﷺ قال لمن دعته إلى الحرام لما رأت مخايل النور في وجهه ، راغبة في أن يكون لها ولدٌ منه :

أما الحرام فالحمام دونه
والحل لا حل فأستبينه
فكيف بالأمر الذي تبغينه
يحمي الكريم عرضه ودينه

وأعلى من شأن الحب ذو النون المصري بقوله :

حسبُ المحبّين في الدنيا بأن لهم
من ربهم سببًا يدني إلى سببِ

وأسماء الحب كثيرة منها : المحب والمتيم والمتدله والمتعبد والحنين والمصادقة والمودة والخلم والخليل والشجن والشغف والشوق والصبابة والصبوة والعشق والعلاقة والغرام والفتون

والتوله والكلف واللهف واللوعة والهوى والهيام والوجد وغيرها كثير .

والحب كما ذكرنا له مراحل ودرجات في استكمال موجباته ، وهو يُبنى بالاختبار والامتحان ، ولا يتم كما يزعم الواهمون من النظرة الأولى ، بل يَشْخُفُ بناؤه عليها ، لأن العاقل والمسلم مطالب بغض البصر ، لئلّا يقع في الحب الموهوم والمزعوم ، الذي يستتبع سلوكًا محرمًا لا يمت إلى الحب بصلة ، بل يتمحض شرًا وأذية مأمورين باجتنابها ، إلا في حال النظر والتتبع الذي يراد منه الزواج .

٣ - الخبرة في الثقافة الجنسية :

لا يشترط في الثقافة الجنسية الخبرة المسبقة ، وإنما تتكون الخبرة الجنسية من خلال الثقافة والزواج ، ولهذا كان الاطلاع والقراءة قبيل الزواج ومعه سبيل تنمية هذه الثقافة ، بالإضافة إلى الاهتداء والاقتداء بالسلف الصالح ، الذين لم يمنعهم صلاحهم كما في كتب التفسير والسير من إتقان العلاقة الزوجية وممارساتها ، والرقي والنمو بها ، مما يضفي على حياتهم حيوية الحياة وجدتها ، وكأنهم يكتشفون في كل يوم جديد يُحسّن العلاقة الإنسانية الزوجية ، ويسمو وينمو بحياتهم الروحية والجسدية ، وفي كتب الفقه والحديث أحكام وتوجيهات ، ترقى بحياة الزوجين إلى أعلى ما يطمحون به من سعادة واستمتاع .

ثانيا - الهدية والتهادي :

الهدية والتهادي خُلُق إنساني عام لبناء المحبة والجسور بين الناس ، وفي إطار العلاقة الزوجية يكتسب معاني نفسية وروحية خاصة ، ولهذا يعد إهمالها بين الزوجين إهمالًا سلوكيًا وجهلًا معرفيًا ، ولهذا قال المصطفى ﷺ لراغب في الزواج : « **التمس ولو خاتمًا من حديد** » [1] .

١ - هدايا الخطبة :

تبدأ هدايا الزواج كما أسلفنا بخاتم الخطبة ، وهو تعبير عن الإعلان الرسمي للخطبة ، وقد يرفق بهدايا أخرى من حلي وثياب ونقود ، ولا يشترط فيها شكلًا ولا مضمونًا ، والمحكم فيها الأذواق والأعراف طلبًا للود والمحبة ، ويستحسن فيها حسن الاختيار وذوق الانتقاء ؛ لأنها بريد عقل صاحبها ورسالته إلى من يحب ، ولا يحبذ فيها الغلو والمغالاة والتكلف ، لأن ذلك علامة الإفراط فيما هو أسمى ، وهو نبل العلاقة وجمال التعبير عنها ؛ لأن غالب التبذير يصرف الاهتمام عن الأهم ، وهو الإحساس بالمشاعر النبيلة .

٢ - هدايا الزواج :

كثير من الشباب لا يقدِّر رمزية هدايا الزواج لدى الطرف الآخر ، لأن اللهفة لديه مبنية على الاهتمام الذاتي

(١) أخرجه البخاري ومسلم وأحمد عن سهل بن سعد .

بالحدث والجسد أكثر من اهتمامه بمشاعر الطرف الآخر ، الذي تُبنَى اللهفة لديه على العلاقة والمشاعر المتعلقة بها ، فيحسب أن اللهفة لديهما واحدة متساوية ، وهذا غير صحيح ، وهذا لا يعني ضرورة أن تكون هدية الزواج أو العرس غالية الثمن ، لأن الجنس اللطيف ينظر إلى رمزيتها ، وما تنبئ عنه من علاقة ودية أكثر مما ينظر إلى قدرها وثمنها ، فلو كانت أغلى جوهرة في الأرض ، وقدمت بغير غلالة من اللطف والود المناسبين فقدت قيمتها .

ومهما كان المهر عظيمًا وهدايا الزواج كثيرة ، فإن هدية ليلة الزفاف بيد الفتى لفتاته ، عند أول لقاء رسمي وشرعي بينهما ، له نكهة خاصة ذات أثر أبدي لا ينسى لدى المرأة ، فليَذكُر هذا ولا يُنسَى .

٣ - هدايا المواسم :

بناءً على ما ذكرنا سالفًا من الفرق بين نوعي اللهفة لدى الزوجين ، يبقى أثر الهدايا بينهما يحمل من المعاني والدلالات على صدق المشاعر ما لا يوصف ، وخاصة لدى الجنس اللطيف كما قلنا ، ولهذا كانت وردة ظريفة كل سنة أو موسم أو ذكرى ، تعبير سلوكي بيِّنٌ لتجديد وتحسين العلاقة بينهما .

وكثيرة هي المواسم التي يمكن استغلالها لتجديد العهد

الذي بينهما على الحب والمودة ، وكما أن اللّٰه جعل بينه وبين عباده مواسم للتعرض إلى نفحاته ، فلا بأس أن يكون بين الزوجين مواسم ومناسبات يتعرضوا بها للتعبير عن مشاعرهم ومكنونات نفوسهم ، فإن معظم الخلافات الزوجية سببها سوء فهم الزوجين لمشاعر بعضهما ، والجهل بطرق التعبير عنها .

٤ - عدم التكلف :

من الأهمية بمكان عدم الغلو في الهدايا والأمور المادية ، لأن هذا ينعكس سلبًا على العلاقة التي يفترض أن تكون علاقة روحية إنسانية ، ولهذا قال النبي ﷺ : « **إن من يمن المرأة تيسير خطبتها وتيسير صداقها** »[1] لأن تكلف الزوج في إنفاقه على الزواج يكرّهه فيه ، ويعسر عليه انطلاقته المادية في أمور معاشه ، وربما أوقعه في الديون ، وهذا من أسوء الأمور التي تهدم قدسية الزواج وجمالياته .

ثالثًا - الفرح والغناء :

بعض الشباب يحسب أن لا أهمية لمراسم الزواج ، فيرغب بإقامته دون حفلة ولا إشهار ولا وليمة ، وهذا له أثره السلبي الكبير على مشاعر المرأة وأهلها خاصة ، لأن

(١) أخرجه أحمد والبيهقي والحاكم عن عائشة .

مراسم الزواج سنة إسلامية ونبوية مقررة ، قال رسول الله ﷺ : « **فصل ما بين الحرام والحلال الدف والصوت** »[1] ولهذا لا بد من إقامة حفلة الزواج ، وإن كانت ليست بالفريضة الحتمية اللازمة .

١ - الدعوة فرح وإشهار :

إشهار الزواج من الأهمية بمكان في عقد الزواج ، وتعتبر حفلة الزواج إحدى وسائل إشهاره ، لأنه الفرق بين الحلال والحرام في هذا الأمر ، ولهذا كان من السنة إجابة الدعوة لحضور حفلة الزفاف والفرح ، على أن تخلو من المحرمات كالخمر والمغنيات ، ولا يشترط في الدعوة عمل البطاقات المكلفة ، وتقليد الأغنياء المترفين أو الأمراء المالكين ، فهذا يفسد بهجة الفرح الفطري واليسر الشرعي ؛ لأن العاقل من اهتم بمضمون القيم لا بأشكالها ، واهتم بروح الأعراف والتقاليد المطابقة لشرع الله لا لكلام الناس .

وأفضل الأعراس ما كانت في بيوت الناس أو بخيام على أبوابها ، لا في الصالات والفنادق المكلفة من ناحية ، والتي قد تعرض الزوار والحضور إلى رؤية ما لا يحل من ناحية أخرى ، والصالات المتخصصة للأفراح أفضل في هذا الجانب .

(١) أخرجه الخمسة عن محمد بن حاطب الجمحي .

٢ - الغناء والرقص :

يستحب الإنشاد والغناء في الأعراس لأنه يميزها عن المآتم ، ويميزها عن العلاقة الجنسية في السر ، ولأنه تعبير عن المشاعر بالصوت والكلمة ، الذين لم يكونا محرمين في يوم من الأيام ، إلا إذا كانا مما يسخط الله تعالى . ولهذا استحب النبي ﷺ ذلك فقال لعائشة رضي الله عنها لما زفت إحدى قريباتها إلى أنصاري : « **أهديتم الفتاة ؟** » - أي هل زففتموها ؟ - قالت : نعم ، قال : « **أرسلتم معها من يغني ؟** » قالت : لا ، قال ﷺ : « **إن الأنصار قوم فيهم غزل ، فلو بعثتم معها جارية تضرب بالدف وتغني** » ، قالت : تقول ماذا في غنائها ؟ قال : « **أتيناكم أتيناكم ، فحيانا وحياكم ، ولولا الذهب الأحمر ما حلت بواديكم ، ولولا الحنطة السمراء ما سمنت عذاريكم** » [١] ، وفي رواية أخرى : « **يا عائشة ما كان معكم لهو ؟ فإن الأنصار يعجبهم اللهو** » .

لكن هذا لا يعني - بحال من الأحوال - الغناء والتغني بالباطل والفحش من القول أو جعله صنعة للماجنين والماجنات ، ينفق عليه المال بغير وجه حق ، أو أن نملأ فضاء سماء بيوتنا وأحيائنا صخبًا وضجيجًا ، نؤذي به الجيران ، ونزعج به النيام ، ونذهب بهدوء المرضى ، ونعكر على

(١) أخرجه الإمام أحمد وابن ماجه وفي فتح الباري شرح صحيح البخاري عن عائشة وابن عباس رضي الله عنهم وفي كنز العمال .

المجتهدين دراستهم ، بل يقصد منه التغني بالقيم النبيلة ، والنعم الجميلة ، التي يهبها اللّٰه لعباده بحقها في إطار البذل والتضحية والحلال والمجاهدة ، فالغزل النبيل حلال ، والكلمة الطيبة الحلال حلال ، والتذكر والتذكير بنعم اللّٰه في ذكورنا وإناثنا لم يكن يومًا من الحرام ، على أن يكون ذلك كله في إطار الالتزام بشرع اللّٰه ، وأدب مراعاة أحوال الآخرين والذوق العام .

يذكر الإمام الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين قوله : « النصوص تدل على إباحة الغناء والرقص والضرب بالدف واللعب بالدرق والحراب والنظر إلى رقص الحبشة والزنوج في أوقات السرور كلها - قياسًا على يوم العيد - فإنه وقت سرور ، وفي معناه يوم العرس والوليمة والعقيقة والختان ويوم القدوم من السفر ، وسائر أسباب الفرح وهو كل ما يجوز به الفرح شرعًا » على أن يكون ذلك بضوابطه الشرعية ، وأن يكون غناء الرجال للرجال وغناء النساء للنساء .

وذُكِرَ من ضوابط تحريم الغناء خمسة عوارض :

١ - صوت المرأة التي لا تحل .

٢ - أن تكون الآلة محرمة .

٣ - أن تكون مفردات الغناء محرمة .

٤ - أن تكون نية المستمع محرمة .

٥ – أن يكون ظرف الغناء ووقته محرمًا ، وذلك حين يتعارض مع واجب الوقت .

٣ – الزينة والتكلف :

الزينة زينتان : زينة المكان وزينة الأشخاص ، فأما زينة المكان فالمطلوب فيه لا يتعدى النظافة والطهارة ، لقول النبي ﷺ : « **نظفوا أفنيتكم ولا تشبهوا باليهود** » [(١)] ، أما التكلف في مد البسط والسجاد ، والزرابي والنمارق ، وأثاث الحديد والخشب ، والأنوار والألعاب النارية والكهربائية ، بما تثقل تكاليفها الزوج وأهله ، يعد تبذيرًا يمحق بركة الزواج ، ويتنافى مع تواضع المرء وتعقله تجاه احتياجاته ، بالإضافة إلى حاجته إلى بناء المستقبل الناجح المشرق .

بالإضافة إلى أن التكلف في هذه الأمور يصرف أذهان الناس عن الاهتمام بجوهر العلاقة الزوجية ، التي ينبغي أن تبنى ابتداء من أيامها الأولى على خلق حرص كلٍ من الزوجين على أموال الآخر وسمعته ، لئلّا يقال لهما فيما بعد : « **ما هكذا تورد الإبل يا سعد** » .

أما زينة الأشخاص في لباسهم وهيئتهم أمر مطلوب مسنون في الأحوال العادية ، فبالأولى أن يزداد وجوبه في

(١) أخرجه الترمذي عن سعد بن أبي وقاص ﷺ .

حال الزواج ، وهذا ما يؤكده ما روي عن جابر ﷺ قال : كنا مع النبي ﷺ في غزوة ، فلما قدمنا ذهبنا لندخل فقال ﷺ : « **أمهلونا حتى ندخل ليلًا ، لكي تمشط الشعسة وتستحد المغيبة** » (١) .

وذكرت بنت الشاطئ أن السيدة عائشة رضي الله عنها رأت امرأة متزوجة حديثًا فقالت لها : « لو استطعت أن تقتلعي عينيك فتضعيهما أحسن مما هما فافعلي » وهذا لا يعني أن تصبح المرأة دمية جميلة لصالح الزوج فحسب ، ولا أن تهمل نفسها وزوجها بحيث تصبح النماذج المصطنعة في وسائل الإعلام هي الأناقة والنظافة والجمال ، ولهذا روى الإمام الغزالي في الإحياء عن الأصمعي قوله : « رأيت في البادية امرأة عليها قميص أحمر وهي مختضبة ، وبيدها سبحة ، فقلت : ما أبعد هذا من هذا ؟ فقالت :

وللّه مني جانب لا أضيعه

وللهو مني والخلاعة جانب

فعلمت أنها امرأة صالحة لها زوج تتزين له .

قال ابن عباس : « إني لأتزين لامرأتي كما تتزين لي ، وما أحب أن أستوفي كل حقي الذي لي ، فتستوجب حقها الذي لها علي ؛ لأن اللّه تعالى يقول : ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ

(١) في الصحيحين عن جابر ﷺ .

ﭐلَّذِى عَلَيۡهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ ﴾ [البقرة: ٢٢٨] » وروي عنه قوله : « إني ألبس وأتجمل فإن اللّٰه جميل يحب الجمال » .

وقد يُظن أن ثقافة الزينة والتزين وفهم الحياة الطيبة وأسبابها من اختصاص النساء فحسب ، بينما نجد رجالًا من السلف والرعيل الأول يأمرون بناتهم بها ، فهذا الصحابي القرافصة بن الأحوص يوصي ابنته نائلة حين زواجها من أمير المؤمنين عثمان بن عفان قائلًا : « أي بنيتي : إنك تقدمين على نساءٍ من نساء قريش هن أقدر على الطيب منك ، فاحفظي عني خصلتين : تكحلي وتطيبي بالماء ، حتى يكون ريحك ريح شن أصابه مطر » .

وزينة الروح والعقل والتصرف يزيد في زينة الثوب والجسد والجدار ، حتى لكأن الدار أكثر منها مجرد دار ، لأن الحب والمودة يرفرف على من سكن تلك الديار ، فيحيل حجرة متواضعة إلى جنة ، ويحيل فقدانهما قصرًا إلى نار .

٤ - الوليمة والتحلية :

غالى الناس في ولائم الأعراس غلوًا ما أنزل اللّٰه به من سلطان ، وكأنهم والأمراء والمترفين في حال واحدة ، وهذا عين الحماقة ؛ لأن من كان أميرًا أو مترفًا ينفق وهو مليء ، ويبذر وهو مقتدر ، لا ينقص من ماليته شيئًا يعجزه ، أما من

لم يكن من طبقة هؤلاء ، فإنه إن أنفق وبذر فعلى رق نفسه وثقب جيبه » وبهذه الطريقة انحراف للوليمة عن هدفها ، والسبب في ذلك التقليد والمباهاة التي لا طائل وراءها غير الخسارة وإثقال الكاهل .

وهذا لا يعني إنكار أهمية وليمة العرس أو التحلية فيه ، على أن يكون على قدر بساط الزوج ومقدرته ، تطبيقًا للسنة الشريفة : « **أولم ولو بشاة** » (١) وفي رواية : « لا بد للعروس من وليمة » (٢) وليس شرطًا أن تكون الوليمة طعامًا ولحمًا ، خاصة في حال الضيق وعسر المعيشة ، بل يمكن أن تكون شرابًا وحلوى ، مما يتيسر لغالب الناس والأزواج ، لأن الأمر لا يعدو الرمزية كما هو في المهر والجهاز والأثاث ، لأن القاعدة الأساس التي وضعها شرع الله للزواج الناجح ، قول النبي ﷺ : « **خيرهن أيسرهن مهورًا** » (٣) والولائم وتكاليف الزواج تحتسب من المهور .

رابعًا - اللقاء والتعاهد :

يشيّع المحتفلون كلًّا من الزوجين إلى لقاء بعضهما بصحبة الأهل والأقارب في نهاية حفلة العرس والزفاف ،

---

(١) أخرجه البخاري عن عبد الرحمن بن عوف ﷺ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد عن بريدة ﷺ .

(٣) أخرجه ابن حيان عن ابن عباس ﷺ .

ويأنس الزوج بزوجه يحفهم خواص الأهل والأقارب ، ثم يدلفون إلى بيت الزوجية وقد هيئ لليلة الزفاف المباركة ، وغلّقت الأبواب وأسدلت الستائر » وبدأت همسات البوح والتعاقد والتعاهد .

١ - في بيت الزوجية :

بيت الزوجية كما يقول د . عادل صادق : « بيت ثابت محدد له عنوان » وله سقف وباب وجدران » وله مفتاح لا يمتلكه إلا الزوجان ، وبداخله مطبخ وسرير وحمام ، والسرير قد يكون على الأرض أو مرتفعًا فهما في النوم الهنيء الرضي سيان » يتساوى في ذلك الفقير والغني وملك الزمان ، وما يقال عن غير ذلك من أنواع الزواج فهو ضنك وشقاء وخسران » بتصرف .

ولا بأس بحديث لطيف مقتضب ، يتضمن دعاء النبي ﷺ في مثل هذا الموضع بعد أداء ركعتي سنة الزواج جمعًا ، ويخطئ بعض الشباب المتحمس للمثل والقيم العليا في إسهاب الحديث حول بضاعته وكأنه خطيب جمعة ، وهذا يجعل الفتاة تضيق ذرعًا ، لأنها تشعر بأنها خارج الموضوع ، الذي يفترض أن تكون مركزه الأساس بلا قيد ولا شرط ، خاصة إذا كانت تنتمي إلى بيئة مشابهة قد سمعت الكثير من هذه التعاليم .

ومن الكياسة بمكان أن يلحظ الزوج مشاعر زوجه في مثل هذا اللقاء الفريد ، هذه المشاعر التي قد تبدو مختلفة ومختلطة وغامضة حسب السن والبيئة والثقافة ، ولا يُظن الأمر أو يقاس بطول أو عرض أو ثقافة ، فربما اختلط الفرح بالخوف ، والاضطراب بالأمن والسعادة ، وليس لهذا الأمر مقياس محدد ، والكيس من أعمل عين الملاحظة لعلاج الموقف بالحديث المناسب والسلوك النبيل .

ولا بأس بملاحظة الزوج زوجه لوصفها بأحسن ما فيها دون غلو أو كذب ، كيف لا وقد خلقها الله في أحسن تقويم ، واختارها الزوج بملء إرادته من بين عشرات ومئات النساء ، فإذا أكرمها فإنما يكرم عقله واختياره ، وسؤال كل منهما الآخر عما يحب ويكره يعتبر تمهيدًا للحديث فيما هو أعمق من ذلك فيما بعد .

وأن يعطي كل منهما عهده وميثاقه في إرضاء الآخر وحمايته والحرص على مساعدته في تحقيق أهدافه ، ومشاركته الحياة بحلوها ومرها ، وعونه على السراء والضراء لا يعتبر من الأحاديث النشاز في مثل هذا الموقف على أن يكون باقتضاب وإيجاز ، يتخللها الكلمات الحلوة والعبارات الجميلة .

٢ – عادات جاهلية :

يظن بعض الشباب أن من الرجولة أن يرهب زوجته من

أول يوم ، بأن يظهر قوته وشدته وسلطته على زوجته ليسلس له أمرها فيما بعد ، وهذا محض توهم قديم كان يصنعه الجهلة ، يظهر فيه الشاب أن قوته إنما هي على قط ، وكذا بعض العادات الجاهلية في إبراز قوة الرجل بسرعة إنجازه لمهمته والخروج إلى أهله وأصحابه بهذا الفوز الكبير ، تاركًا زوجته تعاني من الصدمة المؤلمة في أحلى أيامها كما يفترض ، والإصرار على تحقيق المبتغى الجسدي من أول ساعة أو يوم يحرم الزوجين نعمة التوافق والرضا في الانسجام بينهما كما ذكر رسول الله ﷺ في قوله : « **ثلاثة من عجز الرجل : ... وأن يقارب الرجل زوجته فيصيبها قبل أن يحدثها ويؤانسها ، ويضاجعها فيقضي حاجته منها قبل أن تقضي حاجتها منه** » [1] .

وبعض الشباب يحسب أن زوجته ملكًا شخصيًا يتصرف فيه كما يشاء ، فيأمر وينهى من اللحظة الأولى التي تطأ فيها قدمها بيت الزوجية ، وكأنما بزواجه قد حقق أمارة ودولة هو سيدها الأوحد يدير شؤونها باستبداد سخيف أجوف ، متناسيًا أن الدولة التي لا وزارة فيها مآلها السقوط ، وأن الحكومة التي لا شورى فيها مصيرها الفشل .

وهذا الشعور بالتملك والملكية لا يقتصر على الرجال ،

(١) أخرجه الديلمي في كتاب إحياء علوم الدين للغزالي باب آداب المعاشرة .

وإنما يطال هذا الشعور بعض النساء والفتيات اللواتي يحسبن أن البيت والزوج والأبناء ملكها الخاص ، فتتصرف فيه بناء على ذلك باستبداد وجفوة منقولة إليها من عادات أمها ونساء أهلها ، وتستغرب أي اعتراض عليها في ذلك ؛ لأنها تحسب أن الحياة لها صورة واحدة هي المنقولة عن أهلها وأمها . وهناك تحليلات كثيرة عن المرأة العربية تؤكد هذا السلوك الخطأ ، ولهذا ينصح الشباب بأن يلحظوا في الخطبة سلوك الأم لئلّا يصدموا بهذا النمط من النساء ، وينصح الفتيات وذووهن بأن يلحظن هذا السلوك من الشباب أيضًا .

٣ - تذكرة جميلة :

لا بأس من تقديم هدية متواضعة في لقاء اليوم الأول من الزفاف ، وكذا قراءة العهد والميثاق بينهما ، وتدوين مشاعرهما في سجل خاص للمناسبات ، يضاف إليه فيما بعد ذكرى زواجهما كل عام ، وما يتحفهما اللّٰه به من نعمة الولد والنجاح ودوام الزوجية ، ولو اشترى الزوج المجلات الأسرية والإخبارية ليوم زواجه أو شهره الأول يحتفظ بها كذكرى وتاريخ فلا بأس بذلك .

ولا ينسى الشاب اللبيب تهيئة غرفة نومهما بوضع بعض الورود والزهور والعطور والفواكه والمكسرات التي جرى العرف على تهيئة مثلها لهذه الليلة المباركة . وعليهما أن يجتنبا ما يلفت الانتباه من الأقوال والأفعال المذمومة ؛ لئلا

يكونا مثار سخرية الأهل والمقربين ، فالفرح الزائد قد يكون مزلقة للقول أو الفعل الرديء .

وأن يحفظ الشاب جملة من الأقوال أو الأشعار الجميلة فيتحف بها زوجه ، يمكن أن تكون ذكرى جميلة لكليهما ، ولو أن تكون كلمات طيبة متفائلة وهذا ما عبر عنه رسول الله ﷺ بقوله : « وأن يحدثها ويؤانسها » .

وأن يرتب الرجل بعض الهدايا الرمزية [وأؤكد على رمزيتها] من قبل أفراد عائلته التي انضمت إليها بعقد الزواج ، يزيح حاجز التوجس والتخوف الذي قد تحس به لكونها جديدة في أسرتهم ، غريبة كانت أو قريبة .

٤ - حب حقيقي :

المشاعر الأولى غالبًا ما تكون أصدق ما تكون لأنها عفوية وتلقائية ، وما يجعلها كذلك طهر حياة العزوبة قبلها فلا تختلط بقبيح أو مرذول ، وهذا ما أكده الكاتب الغربي د .ج . كارنو في كتابه « مرشد الحب » و « اعتبر العفة شرط الرجولة » ، ولهذا لا ينبغي للزواج أن ينبني على خداع أو كذب ، لأن الغش سريعًا ما ينكشف أو يفسد ما حوله كالعفن . ولهذا شرع الله الزواج لتكوين الأسرة ، لأن الحب الحقيقي الذي نلقنه لأبنائنا ونقدمه لأزواجنا لا يتم في غير هذا الإطار ، والتوبة الصادقة حدًّا فاصلًا بين هذا وسواه .

وينمو الحب ويثمر بالأعمال الصالحة كما تخضر الأرض بالمطر ، فإذا ذبل الحب وجف ففتش عن سلوك شائن أو نية فاسدة ، أو تربية فيها أغاليط .

خامسًا - ليلة الزفاف :

ليلة الزفاف ليست من الليالي السهلة كما يحسبها الغر الجهول ، ولا يعني ذلك أنها خالية من الفرح والسرور واللذات ، إلا أن الجهل وعدم الإطلاع الثقافي بالقراءة الصحيحة والسؤال البليغ ، قد يعرِّض الشاب والفتاة إلى ما لم يكن بالحسبان ، فيحسبون أن الأمر سهل أو صعب بدون مقدمات ، وهذا نتيجة لتراكمات في الخجل غير محمودة ، رُبِّي عليها أبناؤنا جهلًا وقصورًا من خلال خلط الخجل بالحياء ، مع أن الأمر بينهما مختلف كل الاختلاف .

١ - المعرفة الصحيحة :

كيف يتعرف الفتى وتتعرف الفتاة على ما يجب عليهما ليلة الزفاف ؟ يتم ذلك ويتحقق بالقراءة لبعض الكتب الرزينة المخصوصة ، ومنها تحفة العروس للشيخ محمود مهدي الإستانبولي وكتاب الحياة الزوجية من البداية إلى النهاية ل . محمد حمزة العربي بالإضافة إلى قراءة بعض كتب العلوم المدرسية والتشريح ، ومن ثم سؤال بعض المقربين من الأصدقاء المتزوجين ، وينبغي أن يكون ذلك

قريبًا من ميعاد ليلة الزفاف ؛ لأنه لا حاجة للتوتر المسبق دون داع لذلك .

وينبغي الحذر من المعلومات المغلوطة ، التي يوحي بها بعض الجهلة وأنصاف المثقفين ، حيث يعمم تقييم وتصنيف جميع الفتيات بمقياس واحد في قضية التعامل الزوجي والجنسي ، وهذا محض خداع وجهل وافتراء . فكما أن الناس ليسوا سواء ، فكذا النساء والفتيات مختلفات ، فالنساء أنماط منهن السمعية والبصرية والحسية ، فتعرَّف إلى نمط عروسك في مرحلة الخطبة ، واسألها عن نمطها إن كانت تعرفه ، كي يتوفر لك التصرف الصحيح حسب مقتضيات النمط وخصوصياته .

ورهبة الفتاة من ليلة زفافها ليست مستغربة ، بغض النظر عن ثقافتها حتى لو كانت طبيبة ، ورهبة الشاب لا تقل عن رهبة شريكته ، إلا أنها مختلفة في الأسلوب والطريقة حيث هي رهبة اندفاعية إقدامية ، تدفعه للفعل الاستعجالي ، وهنا مكمن الخطر الذي يروع صاحبته ، أو يحرمها الأمان المطلوب .

٢ - بريد النكاح :

وفي السنة الشريفة بيَّن النبي ﷺ بعضًا من مقدمات النكاح بقوله فيما معناه : « **لا يقعن أحدكم على امرأته كما**

تقع البهيمة وليكن بينهما رسول قيل : وما الرسول يا رسول الله ؟ قال : القبلة والكلام » [١] ، والرسول والمرسال هو القبلة والضمة والمداعبة ، وهذه مقدمات يعقبها الرفق في طلب إشباع الحاجات المتبادلة ، والرفق واللطف مطلوبان بأعلى درجة في مثل هذه الليلة المباركة ، لأنها ليلة التقاء زوجين في رداء ولباس واحد لقوله تعالى : ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ﴾ [البقرة : ١٨٧] .

ولا يمكن استخدام جميع أنواع الاتصال والبريد في ليلة واحدة ، لأن التهيب والحواجز التي أحاط العفيف والعفيفة بهما نفسه ، لا يمكن رفعها دفعة واحدة ، ولهذا كما تبنى المودة بينهما يومًا بعد يوم ، تزداد خبرتهما في تلك المواضيع يومًا بعد يوم ، ويكتشفوا الجيد من الرديء في التعامل والمعاملة .

ولا تطلب متع الزواج كلها في يوم واحد كما يظن الجهول ، ولا بأس بالحوار والنقاش حول تجاوب العروس مع فتاها خلال الأيام الأولى ، بالاتفاق على تأجيل بعض الأمور إلى يوم واثنين وثلاثة ، وتكون هـذه الفترة تمهيدًا لها ، لأن الرفق مطلوب في كل الأمور ، ويطلب في ليلة

(١) أخرجه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس عن أنس وهو في الإحياء (ضعيف) .

الزفاف أكثر ، ولا تقاس حالة زوجين في ليلة عرس على غيرهما فيها ، لاختلاف الطباع والمعرفة والمشاعر والدوافع والشخصيات .

٣ - إرواء المشاعر :

وُهِب الإنسانُ نوعين من المتع يتميز بهما على سائر الخلائق ، هما المتع الحسية والمتع المعنوية ، ولكليهما قوالب إنسانية خاصة ودرجات يتفاوت فيها الناس ، وفي مثل هذه الليلة المباركة تتدافع الرغبات في نوعي هذه المتع ، فإذا مال الزوجين أو أحدهما إلى تأجيل إشباع رغبة الشريك في أحد نوعي هذه المتع ، عليه أن يشبع رغبته في متع النوع الآخر منهما ، يعني أن تقدم العروس مشاعرها الجميلة والنبيلة مدحًا وثناءً تجاه فارسها ، إذا أرادت تأجيل أشياء وأشياء مما يباح بينهما .

وكذا يفعل الزوج تجاه عروسه كذلك ، لأن الأحلام الكبيرة في مخيلتهما ، قد لا تجد طريقها إلى الواقع مباشرة في الأيام الأولى ، لأن استخلاص العسل من الشهد يمر عبر مراحل متعددة ، ولا يتم دفعة واحدة ، فلا ينبغي أن يحبط الزوجان إذا لم تتم الأمور كما تخيلوها ؛ لأن ما تخيلوه يتحقق تمامًا وأكثر منه لكن بالتدريج ومع الأيام .

٤ - شهر العسل :

شهر العسل بدعة حسنة في التسمية لا في الواقع ، لأن

تحديد مسرات الزواج في أيام أو أسابيع يوحي بانقطاعها بعدها . وهذا خلاف المأمول من هذه النعمة الأبدية بين الزوجين ؛ ولهذا لا ينبغي التعويل كثيرًا على هذه العادة المصطنعة ، لئلَّا تربط مسرات الزواج في إطار الزمان والمكان ، وتفك عراها خارج هذا الزمان والمكان ، وخاصة إذا كان الزوج أو الزوجة ممن يعول على أهمية الظرفين تعويلًا كبيرًا ، فإذا خرج منهما ودع فيهما سعاداته .

والأمر نسبي بين الناس بالنسبة لهذه الأمور ، فمن يعشق بيئته وبيته ووطنه ، عليه أن يسقط سعادات أيامه الأولى فيها ويربطها بها ، لأن في دخولهما وخروجهما من وإلى بيتهما يذكرهما بعسيلة الأيام الأولى ، وهذا ما جعلنا ندعو لإعادة التفكير بالخروج إلى ما يسمى شهر العسل في الفنادق والمصايف والبلدان ؛ لئلَّا ندفن ذكرياتنا الجميلة في مواقع أثرية ، وبإمكاننا أن نجعلها عيانًا في بيوتنا ومراتع صبانا ومع أشيائنا وحول أهلنا ومحبينا .

وإذا أردنا أن نصنع ما يصنعه الناس في ذلك فليكن بعد سنة من ذكرى هذه الليلة .

* * *

الفصل السابع

استمرار نجاح الزواج

أولا : دستور العائلة .

ثانيًا : فن فهم الآخر .

ثالثًا : حل المشكلات .

رابعًا : تنمية المشاعر .

خامسًا : متعة الإجازة .

« البيت الحصين ما كان له أسوار وأبواب ، والكياسة سور العلاقة الزوجية » .

الفَصِلُ السَابعُ

استمرار نجاح الزواج

أولاً - دستور العائلة :

الزواج القائم على أسس واضحة ومبادئ قويمة يؤدي إلى استقرار الأسرة ونجاح أفرادها ، ومما يساعد على تحقيق ذلك أن يوضع له دستور يمكن تسميته بدستور العائلة ؛ لأن غموض أهداف الزواج وإبهام الدستور الذي تقوم عليه الأسرة ، أحد أسباب تداعي أعمدة فسطاطها ، ولهذا لا بد من البحث والنقاش ومن ثم تدوين الأسس التي تقوم عليه الأسرة ، على أنها دستور للعائلة السعيدة .

ولا يشترط لدستور العائلة أن يكون مزدحمًا بالمبادئ والتعليمات ، وإنما يكفيه أن يتضمن أساسًا واحدًا واضحًا لمدة من الزمن ، يؤدي إلى أن يرسخ هذا الأساس في الذهن والسلوك ، ومن ثم يضاف إليه أساس آخر ، ولا بأس أن يبقى هذا الأساس لمدة سنة من الزمن ، بحيث لا ينمحي بعد ذلك ، وتحاكم على ضوئه جميع القضايا ، وتحل في إطاره جميع المشكلات .

١ - من القرآن الكريم :

آيات قرآنية كثيرة تصلح دستورًا للأسرة المسلمة ، منها قوله تعالى في سورة الروم : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ

أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوٓا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: ٢١] .

وقوله تعالى في سورة المجادلة : ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [المجادلة: ١] .

وقوله تعالى في سورة الأعراف : ﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩] .

وقوله تعالى في السورة نفسها : ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِي سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٦] .

آيات كثيرة تصلح أن توضع كقواعد في دستور العائلة ، والمهم في ذلك أن يطبق المفهوم الأساسي في الآية على حوارهما وحديثهما ومشاعرهما ولباسهما وطعامهما وشرابهما ودخولهما وخروجهما وإدارة بيتهما والعلاقة بينهما .

وتبقى الركيزة الأساس للعلاقة بين الزوجين ، والفهم التطبيقي للآيات السابقة قوله تعالى في سورة آل عمران : ﴿ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ .. ﴾ [الأعراف: ٢٦] .

٢ - من السنة النبوية :

أحاديث نبوية كثيرة تصلح دستورًا للأسرة المسلمة ، منها قول النبي ﷺ : **« لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقًا رضي منها آخر »** (١) .

وقوله ﷺ : **« استوصوا بالنساء خيرًا ، فإن المرأة خلقت من ضلع ، وإن أعوج ما في الضلع أعلاه ، فإن ذهبت تقيمه كسرته ، وإن تركته لم يزل أعوج ، فاستوصوا بالنساء خيرًا »** (٢) وفي رواية : **« لن تستقيم لك على طريقة »** .

ولهذا قال أحدهم :

هي الضلع العوجاء لست تقيمها
ألا إن تقويم الضلوع انكسارها
تجمع ضعفًا واقتدارًا على الفتى
أليس عجبًا ضعفها واقتدارها

وقوله ﷺ : **« إن النساء شقائق الرجال »** (٣) .

وقوله ﷺ : **« خير نساء ركبن الإبل نساء قريش ، أحناه على ولد في صغره ، وأرعاه على زوج في ذات يده »** (٤) .

(١) أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه .
(٢) أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه .
(٣) أخرجه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي عن عائشة رضي الله عنها .
(٤) أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه .

وتبقى الركيزة الأساس للدستور العائلي من السنة النبوية ، التطبيق العملي الذي أتحفتنا به السيرة النبوية العطرة في علاقة النبي ﷺ مع أزواجه التي أقامها على الحب والاحترام ، وذلك حين سئل عن أحب الناس إليه قال : « **عائشة** » ، وحين قيل له نسألك عن الرجال قال : « **أبوها** » .

٣ - من وصايا العرب :

بلغ الجمود بنا مبلغًا جعلنا أبعد ما نكون حتى عن الجاهلية ، التي كانت لا تخلو من الوعي بإرشاد ذوي الوعي لبناتهم اللاتي يزفون إلى أزواجهن ، كما فعلت أمامة بنت الحارث عندما وصّت ابنتها أم إياس بنت عوف بن مسلم الشيباني حين زفافها من عمرو بن حجر ملك كندة فقالت : أي بنية : إنك فارقت الجو الذي منه خرجت ، وخلعت العش الذي فيه درجت إلى وكر لم تألفيه ... فكوني له أمة يكن لك عبدًا ، ولو أن امرأة استغنت عن الزوج لغنى أبويها ، من شدة حاجتهما إليها كنت أغنى الناس عنه ، ولكن النساء للرجال خُلِقن ولهن خُلِق الرجال ، **فاحفظي له خصالاً عشرًا تكن لك ذخرًا** :

أولًا : الخضوع له بالقناعة ، وحسن السمع له والطاعة .

ثانيًا : والتفقد لمواضع عينه ، وأنفه .

ثالثًا : والتفقد لوقت منامه ، وطعامه .

رابعًا : والاحتراس بحاله ، والإرعاء على حشمه وعياله .

خامسًا : ولا تعصين له أمرًا ، ولا تفشين له سرًّا .

وعرف الصحابة هذا فأضافوا إلى وصايتهم بناتهم بالدين والخلق وصايا في رعاية الزوج ومعرفة حقه ، فقال أنس ﷺ كان أصحاب رسول اللّٰه ﷺ : « إذا زفوا امرأة إلى زوجها يأمرونها بخدمة الزوج ورعاية حقه » .

ومن هذه النماذج : وصية عبد اللّٰه بن جعفر بن أبي طالب ابنته عند الزواج فقال : « ١ - إياك والغيرة ، فإنها مفتاح الطلاق .

٢ - وإياك وكثرة العتب ، فإنه يورث البغضاء .

٣ - وعليك بالكحل فإنه أزين الزينة ، وأطيب الطيب الماء » .

ووضعت رملة بنت الزبير لنفسها قاعدة زكية مستنبطة من هذا التراث الأصيل العريق فنجحت ببراعة ، وذلك حينما وقع زوجها خالد بن يزيد بن معاوية يومًا في الكلام على أخيها عبد اللّٰه بن الزبير وهي جالسة فأطرقت ولم تتكلم بكلمة ، فقال لها زوجها خالد : مالك لا تتكلمين ؟! أرضى بما قلته أم تنزهًا عن جوابي ؟ فقالت : لا هذا ولا ذاك! ولكن المرأة لم تخلق للدخول بين الرجال ، إنما نحن رياحين للشم والضم ، فمالنا وللدخول بينكم ! فأعجبه قولها

وقبلها بين عينيها .

ثانيًا - فن فهم الآخر :

ليس مستغربًا تسمية فهم الآخرين فنًّا ، لأن الحياة بأسرها تتجلى فيها يد القدرة الإلهية للخالق بديع السماوات والأرض سبحانه ، ولهذا كانت العلاقات الإنسانية وسلوكيات الإنسان من أعظم ما منحته القدرة الإلهية للإنسان ؛ ولهذا لا بد من هذه النظرة للوصول إلى جماليات العلاقات الزوجية .

١ - فوارق الجنسين :

البحث الدائم لفهم الفوارق بين الجنسين ؛ من أعظم المثبتات للمودة والمحبة بينهما ، لأن فوات هذا الفهم هو السبب الرئيس في المشكلات الزوجية ، ولهذا لا بد من قاسم مشترك في فهم عناصر الاختلاف بينهما ، وأثبت ذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ﴾ [آل عمران : ٣٦] فالجسد مختلف والروح كذلك والمشاعر أيضًا واللغة ، ويتبع ذلك معطيات الحواس كلها ، وليس معنى ذلك أن المرأة من كوكب آخر ، على العكس من ذلك فقد وصف النبي ﷺ الجنس الآخر بقوله : « **إن النساء شقائق الرجال** »[1] وحتى

(١) سبق تخريجه .

هذه العبارة النبوية بصيغتها البلاغية ، تصف الاختلاف والاتفاق بينهما بأوجز تعبير .

ولولا الاختلاف بينهما لما انجذب أحدهما إلى الآخر ، لأن اتحاد الشحنة بين أي عنصرين يجعلهما متنافرين واختلافهما يجعلهما متجاذبين ؛ ولذا لا بد من لطف التعامل مع الفوارق بينهما ، ويبقى احترام خصوصية كل منهما من أعظم عوامل الوفاق والمحبة ، والعلوم الحديثة تكشف كل يوم عن صورة من صور الاختلاف اللطيفة بينهما ، وهذا ما يجعل بينهما نوع من التكامل والتعاضد والتنوع في زيادة طاقة الإقبال على حب الحياة .

٢ - فن التواصل :

أصبح التواصل اليوم أحد الفروع الرئيسة في علم الإعلام ، ويشترك في فهمه والتنظير له علم الاجتماع وعلم النفس وعلم الإدارة ، ويرقى إلى درجة الفن باعتبار تأثير المشاعر والأحاسيس والصوت واللون والصورة على العلاقات الإنسانية ، فإذا كان الأمر بين المتحابين أو فيمن يفترض أن يكونا متحابين ، كان الأمر أكثر حساسية وشفافية ، فعبارات المجاملة والحب الصادق والاحترام المتبادل من أعظم الموصلات للرسائل الإيجابية المطلوبة بين الزوجين ، ولهذا لما حكت السيدة عائشة رضي الله عنها للنبي ﷺ

قصة أم زرع وزوجها أبو زرع ، قال لها : « **أنا لك مثل أبي زرع لأم زرع إلا أنه طلقها وأنا لا أطلقك** » [1] .

ومن مقتضيات حسن التواصل بين الزوجين حسن الاستماع ، وحاجة المرأة فطريًا للاستماع أكثر من حاجة الرجل ، ولهذا لما تكثر المرأة من الشكوى والحديث لا ينبغي للرجل أن يسارع في تقديم الحلول والمقترحات ، لأن المرأة في كثير من الأحيان تتطلب استماع زوجها إلى مشاعرها ليس إلا ، فعليه أن يقتطع من وقته للاستماع إليها ومشاركته لها في مشاعرها ، فإذا فعل ذلك أشبع حاجتها .

ومن فن التواصل أن يستمع الزوج إلى زوجته على طريقتها لا على طريقته ، ومن كياسة المرأة أن تستمع إلى زوجها على طريقته أيضًا لا على طريقتها كذلك ، وهناك من الكتب الحديثة ما شرح هذه المسألة بإسهاب وتفصيل منها كتاب نساء من الزهرة ورجال من المريخ ، وكتاب الرجل والمرأة لآلين ويلر وكتاب ... إلخ .

٣ - معرفة الآخر :

كثير من الأزواج يمضي على زواجهم السنين والأعوام وهم لا يفهمون بعضهم بعضًا ، لأن كلًا منهم يشكل صورة الآخر حسب الصورة التي يرتئيها لنفسه ، أو حسب

(١) أخرجه البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها .

الصورة التي شكَّلها عن الطرف الآخر من أهله ، فالزوجة تنظر إلى زوجها على مثال أبيها ، والزوج ينظر إلى زوجته على مثال أمه ، وفي حال عدم التطابق بين المثال والواقع تبدأ المحاكمة بدون قاضٍ ولا شهود ، ولو تعرف كل منهما على شخصية صاحبه ابتداء من الخطبة والأيام الأولى للزواج ، لما وقع الخلاف المرير .

ولقائل أن يقول : كيف يتم تعرف كل منهما على الآخر ؟ أقول : يتم ذلك من خلال كتابة ما يحب كل منهما لنفسه من مباحات الحياة ورغائبها ، ومحبوبات الطرف الآخر ورغائبه **أولًا** ، وتدوين أهدافه وأهداف الطرف الآخر في الحياة ورسالته فيها ثانيًا ، وتدوين ما يكره أو يغضب الشخص وبالمقابل ما يكره أو يغضب الطرف الآخر أيضًا **ثالثًا** ، هذا التدوين والوضوح سيساعد كل طرف أن يراعي الطرف الآخر في مشاعره وخصوصياته وأهدافه ، ويشكل قاعدة رئيسة في تعرفهما على بعض ، وبالتالي سيقل الصدام والنزاع بينهما ؛ لأن غالب النزاعات تكون بسبب أن كل طرف لا يفهم الطرف الآخر ولا يعرف خصوصياته ؛ لأنه يحاكمه بناء على ثوابت شخصيته وقيمه ونموذجه في أبيه أو أمه ، دون مراعاة لتميز الآخر واستقلاليته .

ثالثًا - حل المشكلات :

غالبية الفشل الزوجي في بلادنا ليس بسبب سوء اختيار الزوجين لبعضهما ، وقد أحسنا الاختيار ووقع كل منهما على الزوج المناسب ، وليس فشلهما بسبب نقص الحب وهما يكتنزان نبعًا لا ينضب من الحب الحقيقي الصادق ، وإن كانا لا يحسنان التعبير عنه بالشكل الملائم ، وليس الفشل بسبب خيانة أحدهما للآخر ، وهما يتمتعان بالأمانة والعفة والاستقامة ، وإنما يتم الفشل الزوجي بسبب المشكلات التي لا يحسنان التعامل معها ، ولا يجدان طرقًا مناسبة لحل هذه المشكلات ، أو بسبب العناد وما تطبعا عليه من استبداد أبويهما في إدارة الأسرة العربية التي تفتقد الشورى في كثير من جوانب حياتها الأسرية والاجتماعية .

١ - النظرة المثالية للزواج :

كثير من أبنائنا وبناتنا يقدمون على الزواج وفي أذهانهم نظرة مثالية عنه ، يتصور الفتى فتاة أحلامه دمية لا مثيل لها خالية من كل العيوب ، فهي في نظره كالخاتم السحري الذي إذا حككته نادى : (شبيك لبيك) ليس لها من أحلام أو رغبات سوى إرضاء نزواته وشهواته .

وكذلك كثير من بناتنا بالمقابل يقدمن على الزواج وفي مخيلتهن فارس الأحلام كالفانوس السحري في أسطورة

علاء الدين إذا حككته خرج منه مارد جبار يقول : (عبدك بين يديك) ليس له من مهام سوى تلبية طلبات المعشوقة الجميلة .

وبالتالي ينظر كل منهما إلى الآخر على أنه الملاك الذي لا يعصي ، والعاشق الذي لا يخطئ ، وبالتالي لا يُقبل التسامح حتى في الهفوات ؛ لأنها تخدش الصورة الجميلة التي رسمها كل منهما عن الآخر ، خاصة إذا دعمت بقصص كثيرة من نماذج التربية القديمة ، التي نشأت عليها أمهاتنا وآباؤنا فيما مضى .

٢ - عقدة المشكلات :

بسبب التربية الاتكالية التي نشأ عليها شبابنا في أسرهم ، نجد أنهم لا يحسنون التعامل مع الاختلافات والمشكلات التي تحصل بين الزوجين ، مما يجعل أدنى مشكلة يقعون فيها تتضخم وتتراكم سلبيات التعامل معها ، إلى أن تصبح مشكلة كبيرة عويصة يصعب حلها ، ككرة الثلج الصغيرة التي جرفت في طريق تدحرجها ثلجًا كثيرًا يجعلها كصخرة حطها السيل من عل .

ولو فتشنا عن نوع المشكلات التي تعيق استقرار البيوت والشعور بالسعادة الزوجية والأسرية ، لوجدنا أكثرها تافهًا لا يستحق عناء التفكير فيها ، من مثل الاختلاف على نوع الطعام بين أن يكون على طريقة مائدة أم الزوج أو أم

الزوجة ، وكذلك الاختلاف على هدايا الزوج لأهله وهدايا الزوجة لأهلها ، وكذا الاختلاف على زيارة كل منهما لأهله وأهلها ، وكذا على كيفية تربية الأبناء ورعايتهم .

ما عدا المسألة الأخيرة يعتبر الأمر جد يسير ، لو تمتعا بعقل راجح مرن يقبل الحلول الوسطية في كثير من هذه الأمور وأمثالها ، إلا أن الاختلاف لا يقف عند نقطة البداية فيه ، وإنما يتطور ليجمع حوله كمًّا هائلًا من صور المشاحنات والنزاعات ، والرسائل السلبية من كل منهما تجاه الطرف الآخر ، مما يصعب في حال المصالحة نسيان هذه الرسائل السلبية بينهما فتنبش من جديد عند كل خلاف .

٣ - الود والخلاف :

على ضوء قواعد الزواج الناجح لا يفسد الاختلاف للود قضية ، ولهذا لا بد من تأكيد الحب والود عند الاختلاف ، وأن الناس لم يخلقوا على قالب واحد ، وأن ليس هناك مشكلة لا حل لها ، وخير الأمور الوسط ، وتأجيل النقاش في حال الغضب إلى وقت الهدوء والسكينة ، والظن غير الصحيح بأن الحب يقتضي الموافقة الدائمة ، مما يؤدي إلى استنتاج خاطئ يُستَدل به على فقدان الحب .

٤ - فن حل المشكلات :

كما أن لكل جواد كبوة ، فإن كل ابن آدم خطاء ،

وخير الخطائين التوابون ، وفن حل المشكلات كفن التوبة ، يحتاج إلى طلب المغفرة والإقلاع عن الذنب والعزم على عدم العود ، في حال مبادرة أحد طرفي الخلاف بتحمل مسؤولية المصالحة والاعتراف بالخطأ ، أما في حال تشابك المصالح المتناقضة في المشكلة ، لا بد من التعقل وطرح بدائل حلول في المشكلة الواقعة لاختيار أنسبها .

وكلما كان الزوجان يتحليان بالمرونة المتعقلة ، كلما استطاعا إيجاد حلول كثيرة وبدائل متعددة لمشاكلهما ، فلا تتوقف سعادتهما ونجاحهما عند أي عقبة عابرة من عقبات الحياة ، وربما أكسبتهما المشكلات خبرات جديدة في توجيه من يحيط بهما من أبناء وأقارب وجيران .

رابعًا - تنمية المشاعر :

ما يتميز به الإنسان عن غيره من المخلوقات امتلاكه مشاعر وأحاسيس متنوعة ، تدفعه إلى النشاط الإنساني المتميز سلبًا أو إيجابًا ، وجميع العلاقات الإنسانية مبنية على هذه المشاعر ، وهي سبب لاستمرارية السلوك الإنساني باتجاه معين ، مع إمكانية تحرر الإنسان من هذا الاتجاه في السلوك ، بتغيير مشاعره وقناعاته من خلال قوله كلمة لا بتصميم وإرادة .

١ - الزواج والمشاعر :

طالما أننا اتفقنا على أن القاعدة الأساسية للزواج هي

الحب والمودة ، وما يرافقهما من مصالح اجتماعية ومادية ، فإن الاستمرارية في هذا الزواج والسعادة فيه تستند إلى تنمية هذا الأساس من المشاعر ؛ لأن الاعتياد والألفة الطويلة يزيد في هذه المشاعر عند من ينجح في زواجه ويحقق أحلامه فيه ، وينقص منها عند من يفشل في زواجه ولا يحقق أحلامه فيه ، ومن أكبر ما يبهت هذه المشاعر ويقلصها كثرة المشكلات الأسرية والزوجية ، مما يقلب جنة الزواج جحيمًا ، ومع ذلك لا يموت الحب بينهما طالما أنهما يرغبان في البقاء معًا ، إلا أن حبهما قد يضمر ويتقلص وقد يموت وينقلب كرهًا إذا كانا يفكران في الفراق .

وكما يجوع الإنسان للزواج يجوع الإنسان للحب ، كما قال الدكتور عادل صادق ، وشبهه بالشجرة المورقة التي تثمر بالعطاء المشترك وتذبل بالإهمال ، ويموت الحب إذا كان صاحبه أنانيًا أو بخيلًا أو نرجسيًا ؛ لأن مثل هذا الإنسان لا يمثل له الطرف الآخر أية أهمية في حياته ، سوى تحقيق نزغاته الأنانية .

٢ - الرومانسية الواقعية :

اضطراب العلاقة الزوجية والحب بين الزوجين ، قد يتسبب عن سمات عدوانية من الشراسة والتسلط والاستبداد وحب السيطرة والتحكم في الآخرين ، مما

يؤدي إلى عدم احترام الطرف الآخر وربما تعمد إهانته وجرح كرامته .

والحب الحقيقي نوع من الرومانسية الواقعية التي توازن بين الأخذ والعطاء ؛ لأن الحب يغلب عليه الرومانسية التي تولد : الحنان والأماني والأحلام والرقة والخيال والأمل والفرح الذي يتطلبه الإنسان لنفسه ، إلا أنه إذا غالى فيه انقلب إلى أنانية مفرطة ونرجسية ، في مقابل ذلك يغلب على الزواج الواقعية التي تتطلب مراعاة الطرف الآخر والنزول عند رغباته ؛ لأن ذلك يحقق لهما الاستمرار وتبادل المصالح المشتركة أخذًا وعطاءً ، وهذا ما يقتضيه الذكاء الاجتماعي لدى الإنسان ؛ لأنه كائن اجتماعي بالطبع ، وفي إطار الزوجية لا تحسب الأمور بهذه الطريقة فحسب ، بل يرتفع الحب والمودة بينهما إلى درجات أعلى من التضحيات المتبادلة التي ترقى بمستوى مشاعرهما تجاه بعضهما ، ككنز شخصي لكل منهما يكتشفه بمهارة وذكاء يأبى أن يفرّط فيه .

٣ - تنمية الوجدان :

الوجدان أحد مكونات الشخصية الإنسانية الهامة ، وعنه تصدر جميع أنواع المشاعر السلبية والإيجابية المحركة للسلوك ، وكما أن قيادة السيارة لأول مرة تحتاج إلى مهارة وتدريب وعلم ومعرفة وشجاعة كذلك يحتاج الوجدان إلى

ذلك ، وإن كانت أرضية هذه الأمور موجودة مسبقًا من خلال تربية الطفولة واليفاعة لدى الأبوين والأسرة والمجتمع ، فإن تمحيص هذه المشاعر لدى وجداننا يحتاج إلى إعادة نظر أو تأكيد لمعطيات كثيرة تشربناها عن طريق ثقافتنا المنقولة إلينا والمسلم بها ، والتي تحمل الغث والسمين من الصواب والخطأ في مشاعرنا ، التي تحتاج منا باستمرار إلى تأكيد الصواب فيها ، والتخلي عن الخطأ منها .

ولتنمية الوجدان آليات تدريبية تكون بالحوار بين المحبين ، كي يتوصلوا مع الأيام إلى أكبر قواسم مشتركة في مواجهة مشكلات الحياة بطريقة واحدة ومتقاربة ، وهناك آليات تدريب فردية لكل من الزوجين على انفراد في تنمية وجدان كل منهما مبني على اكتشاف حقيقة المشاعر من ناحية ، وعلى اكتساب أنواع من المشاعر الإيجابية الأخرى من ناحية أخرى .

فالكلمة الطيبة والابتسامة الحلوة والإطلالة الحسنة والهدية المناسبة واللقمة الحلال ، كل هذه الأمور تنمي المشاعر بين الزوجين ، ليس بالنسبة للطرف الآخر فحسب ، بل بالنسبة لكل منهما على انفراد ، لأن الذي ينمي مشاعره الإيجابية تجاه الآخرين ، ينميها في ذات الوقت تجاه نفسه ككنز من الممتلكات الشخصية ، التي يستطيع أن ينفق منها ويبذل على نفسه والآخرين .

ولكي تنمو مشاعرنا بشكل صحيح لا بد أن نتمتع بقيم ومبادئ ومنطلقات صحيحة في حياتنا ، منها :

١ - أن يكون تصورنا عن الحياة أنها مادة وروح .

٢ - وأن السلوك عمل ومشاعر .

٣ - وأن العلاقات مصالح وأخلاق .

٤ - وأن الكمال البشري في الأنبياء والرسل .

٥ - وأن من لا يُسامِح لا يُسامَح .

وأن على الإنسان الذي يبتغي السعادة والهناء ويتمتع بالجاذبية والنجاح ، أن يتحلى بالأخلاق الكريمة من الكرم والتسامح والأريحية والدماثة والعفو والليونة والإيثار والتضحية ، إلا أن على الطرف الآخر في العلاقة الزوجية أن يغذي هذه المشاعر والسلوكيات لدى قرينه كي لا ينضب معينها ؛ لأن الحب من طرف واحد لا ينجح ولا يستمر .

٤ - الحب الدائم :

لا قيمة لزواج بلا حب ولا قيمة لحب بلا زواج ؛ لأن الحاجة إلى كلٍّ من الزواج والحب أمر أساسي لحياتنا وسعادتنا ، والحب الذي تعرضه وسائل الإعلام في الأفلام والمسلسلات خداع لا علاقة له بالقيم الأسرية والزواج ؛ لأن الخلط الذي يقع فيه هو في التلبيس بين الميل الجنسي المؤقت (البيولوجي) والعلاقة الإنسانية الاجتماعية

الوجدانية ، الأمر الأول يقوم على المادة والثاني يقوم على الخلق ، ولهذا فالحب تصنعه القيم والتجارب والاختبارات اليومية بين الزوجين ، بعد وضع حجر الأساس الأول له في مرحلة الخطبة وعقد النكاح .

وبناء على ما ذكرناه لا يمكن حصاد الحب من الزواج المؤقت وزواج المتعة وزواج الطمع وزواج الإكراه ، وبالمقابل يعتبر زواج السر وزواج المسيار وزواج الكبير بالصغيرة وزواج الكبيرة بالصغير زواجًا منقوصًا غير مكتمل ، لأن الحب الحقيقي المكتمل ينتج عن الزواج الحقيقي المكتمل ، وهذا حددته الشريعة فيما أطلق عليه الفقهاء مصطلح الكفاءة .

والإنجاب أحد العوامل الرئيسة في تنمية الحب ورسوخه ، ولهذا كان الزواج الأوروبي هشًّا لأنه يتجنب الإنجاب ويستبعده في العلاقات الزوجية ؛ ولهذا يسهل عليهم الانفكاك من الرابطة الزوجية لأوهن الأسباب ، بينما يصعب علينا فسخ الرابطة الزوجية مع أقوى الأسباب الداعية إليه طالما سيتضرر الأبناء من ذلك ، وهذا أحد الاختلافات الرئيسة بيننا وبين القوم .

ومما يعين على جعل زواجنا أبديًّا وحبنا سرمديًّا أن من ثقافتنا وعقيدتنا أن يجمع الله بين المتحابين من الأزواج في الدنيا والآخرة ؛ ولذا قال رسول الله ﷺ لعائشة رضي الله عنها :

« إني ليهون علي الموت ، أني رأيتك زوجتي في الجنة » [1] .

أيقارن بعد هذا في امتداد الحب إلى الأبد والخلود في الزواج بما يطلب في المتعة من خلوة واحدة لقاء حفنة من شعير أو درهم زائف ، كمن يؤجر الظهر لقاء علف تبّان ؟!!

خامسًا - متعة الإجازة :

التضحية الدائمة من أحد الزوجين على مدى طويل من العمر ، دون أن يقابل بالشكر والثناء والتقدير من الطرف الآخر ، يراكم تعبًا وإجهادًا يطفو على السطح دفعة واحدة كأنه البركان ، خاصة إذا حدث تصدُّع في العلاقة الزوجية نتيجة مشكلة من المشكلات الكبيرة ، ولئلا يحدث هذا الانفجار الكبير لا بد للزوجين من فترات راحة واستجمام ، يراجع فيها كل منهما حساباته لينال عليها مكافأة النجاح .

١ - الإجازة الأسبوعية :

الإجازة الأسبوعية مقدسة عند الغرب ، وعندنا تعتبر يوم عمل مضاعف ، تؤجل إليه كل الأعمال الشاقة والمتعبة ، وتهيَّأ فيه أعمال الأسبوع كاملة ، فلا تزاور ولا خروج ولا راحة في هذا اليوم المجيد ، مع أنَّ الإجازة الأسبوعية من أنسب الأيام لتجديد السرور العائلي ، ومعاودة النشاط والحيوية ، والتذكير بأيام الفرح الخوالي للتخفف من أعباء

(١) سبق تخريجه .

تعب وإجهاد أيام العمل .

والإجازة الأسبوعية تحتاج إلى تخطيط ومنهج وبرنامج يشارك في وضعه جميع أفراد الأسرة ، ولا يصح استقبالها بعفوية دائمة تقلل من فرص استثمارها بشكل صحيح ، فالرحلات والزيارات وممارسة الهوايات شكل من أشكال قضاء الإجازة الأسبوعية ، واللقاء العائلي والأسري على طعام غداء أو عشاء ، مناسب لتجديد الهمم وعرض حلول للمشكلات الطارئة .

٢ - الإجازة الوالدية :

أن يكون في مخطط الإجازة أحد الأيام يخصص إجازة للوالدين ، بحيث يقوم الأبناء بعبء إدارة المنزل والقيام بشؤونه ، بحيث يتربع الوالدين على عرش مملكة البيت أمراء مخدومين ، بعد أن كانوا خدمًا لأولادهم ردحًا طويلًا من الزمن ، فإن كان الأبناء صغارًا يصعب عليهم القيام بهذا الدور فلا بأس أن يرتب الأمر مسبقًا بحيث يتفرغ الوالدان لبعضهما كأنهم في شهر عسل ، فيغدو يوم الإجازة يومًا مرتقبًا يُطمع في قدومه .

ولو طاب لأحد الوالدين أن ينال يومًا كاملًا إجازة في بيته أو بيت أهله أو في منزل أحد الأرحام فلا بأس بها من فكرة تجدد نشاط الحياة ، وتعطي فرصة للإنسان لمراجعة

بعض تصرفاته التي لا يتاح له وقت راحة بحيث يصبح عنصر مشاهد لها ، فيعيد ترتيب أموره وسلوكه ومواقفه تجاه أفراد أسرته ، ولهذه الإجازة الوالدية تأثير إيجابي كبير على تحمل الأبناء جانبًا من المسؤولية والجدية .

٣ - الإجازة السنوية :

إذا كان الروتين داءً قاتلًا في المؤسسات والمشاريع ، فإن الملل والسأم من طول المكث والبقاء على حال واحدة قد يبلد الحس ويضعف الشعور ، لهذا أمر اللّٰه تعالى بعبادات كثيرة متنوعة لتجديد نشاط الإنسان في جميع المراحل العمرية ، ولو أن يذهب إلى مصلى من طريق ويعود من غيره ، بالإضافة إلى رحلة الحج والعمرة ، وشد الرحال إلى المساجد الثلاثة ، والسياحة في الأرض تأملًا وتفكرًا وتعبدًا وتحنثًا ، ولذا كانت الإجازة السنوية أكثر من ضرورة بهذه الاعتبارات وغيرها .

فالإجازة السنوية قد تكون للوالدين معًا أو لأحدهما دون الآخر ، أو لهما مع الأسرة والأبناء ، سواء كانت حجًّا أو عمرة ، أو مخيمًا في مصيف ، أو زيارة لأقارب وأرحام ، أو سياحة للتعرف إلى البلاد والأوطان ، أو اطلاع على متاحف وآثار ، أو قضاء أسبوع في بستان أو متنزه أو قرية ، والتشاور بين أفراد الأسرة لقضاء هذا النوع من الإجازات أمر مطلوب ومفيد .

٤ - شهر الزواج :

ليس غريبًا أن يتذكر الزوجان إيحاءات الزمان والمكان الذين قضيا فيهما شهر الزواج الأول ، إذا أردنا أن يكون الزواج ناجحًا ، والغريب الذي له دلالته على متاعب الزوجين ، نسيانهما الأيام الأولى للزواج وذكرى هذه الأيام ، ولهذا لو تعود الزوجان على إحياء أيامهما الأولى وتذكرها لكان ذلك أدعى إلى تجديد العهد الأول بينهما وما أحاط به من مشاعر وأحاسيس لها دلالتها على صدق العاطفة بينهما ، التي قد تكون الأحداث والمشكلات شكلت حاجزًا بينها وبين تذكرها ، حتى ليحسب كل من الزوجين أن حياته غائمة أبدًا لا صحو فيها ولا ضياء .

والتفنن والإبداع يمكن أن يمكن الزوجان من إحداث إجازات داخل البيت من نوع آخر هم بحاجة إليها كالإجازة عن الاختلاف والتناحر ، أو الإجازة عن طهي الطعام ، أو إجازة عن مشاهدة مآسي الرائي (التلفزيون) أو إجازة عن العمل ، أو إجازة عن الناس ، أو إجازة عن التسوق ، أو إجازة عن بلوى قد اعتاد عليها أحد الزوجين يريد التخلص منها ، وكل هذه الأمور بالتشاور والتراضي لئلا ينقلب الأمر نكدًا وشجارًا ، بعد أن كان نعمة واختيارًا .

* * *

خاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والزواج أحد أعظم هذه النعم الصالحات ، حيث عبر عنه المصطفى ﷺ بقوله : « وفي بضع أحدكم صدقة .. »[1] ، كيف لا ؟ وهو يرتبط بجملة من المفاهيم والأعمال الطيبة التي لا يمكن تحققها بدونه ، وعن طريقه تعمر الأرض ويُبذل الجهد ويُنفق المال وتتحرك المشاعر ، بل بسببه يقوم الأبطال بمآثر وتضحيات ما كان لهم أن يقوموا بها بدونه .

ولهذا تنوعت مشاعر الحب وتعددت بمسميات مختلفة لا حصر لها ، للدلالة على غزارة المعاني وثراء الأحاسيس التي تعبر عنها إلى درجة يعجز الوصف أن يكون دقيقًا في تمثل سموها ونبلها .

كيف لا ؟ والقرآن يقول عن الزواج أنه من آياته تعالى وجميل صنعه في قوله : ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ [الروم : ٢١] .

ولعظم شأن الزواج اخترت كتابة هذا البحث فيه ، وقد لا يجد بعض الشباب كل ما يطمحون إليه في بحثي هذا ، الذي أردت أن أجعله خريطة عملية ونفسية على مفارق

(١) أخرجه الإمام مسلم .

طريقه ، إلا أنني بذلت جهدي في تقصي معالم على طريق تخطيط وحسن اختيار كل من الزوجين لشريك حياته المناسب ، الذي يتلاءم مع تطلعات وأهداف كل منهما ، بحيث يكون اختياره السليم عونًا له على تحقيق هذه الأهداف التي تجعله إنسانًا ناجحًا في الحياة .

والنجاح المقصود في الزواج لا يحسب على صعيد القيم والمبادئ فحسب ، بل يخطط له على صعيد التطلعات المادية والقيم الروحية معًا ، كي ينعكس هذا النجاح للزوجين على ذريتهما المرتقبة من الأبناء والأحفاد ، مما يحقق لهما الأسرة السعيدة المستقرة الناجحة ، التي يشكل نجاحها الأساس المتين لنجاح المجتمع وتقدمه واستقراره وتحضره .

وقد عبر القرآن عن تحمل الإنسان مسؤولياته ، والنجاح في الزواج أحد أوجه هذه المسؤولية ، بمفهوم الاستخلاف في الأرض في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة : ٣٠] .

وبما أن كثيرًا من الشباب يقدُم على مشروع الزواج بعفوية ، يجتذبه فيها المال والجمال ، وضعت كتابي هذا على صيغة تخطيط مشروع أرجو أن يكون ناجحًا موفقًا ، لإقامة أسرة ناجحة موفقة بحمد الله وعونه .

ومن أجل مراعاة مقتضيات السرعة والإيجاز والوقت ، لم أشأ الإسهاب في الموضوع من ناحية ذكر ما يتعلق بالنجاح في إدارة الزواج والأسرة والمنزل ، والنجاح في العلاقات الزوجية والأسرية ، والنجاح في تربية الأبناء ، واقتصرت على جانب واحد من جوانبه ألا وهو التخطيط لنجاح الانطلاقة الأولى في مشروع الزواج ؛ لأنه المفتاح الذي يفتح باب النجاح على مصراعيه بإذن الله تعالى .

* * *

المصادر والمراجع

١ - القرآن الكريم . طبعة المدينة المنورة .

٢ - تفسير القرآن الكريم . إسماعيل بن كثير .

٣ - صحيح البخاري . محمد بن إسماعيل البخاري .

٤ - صحيح مسلم . مسلم بن الحجاج النيسابوري .

٥ - لسان العرب . محمد بن مكرم بن منظور .

٦ - فقه اللغة وسر العربية . إسماعيل الثعالبي النيسابوري .

٧ - المعجم الوسيط . مجمع اللغة العربية في القاهرة .

٨ - الرجال من المريخ والنساء من الزهرة . د . جون غراي .

٩ - رجال ونساء . آلين زيلر .

١٠ - كيف تساعدين زوجك . دوروتي كارنيجي .

١١ - الزواج والعلاقات الأسرية . د . سناء الخولي .

١٢ - الزواج (ثلاثة أجزاء) . د . عمر رضا كحالة .

١٣ - كيف تختار نصفك الآخر . د . سامي محمود .

١٤ - منهج السنة في الزواج . محمد أحمدي أبو النور .

١٥ - المفصل في أحكام المرأة (١١مجلد) .

د . عبد الكريم زيدان .

١٦ - آداب الخطبة والزفاف . د . عبد اللّه ناصح علوان .

١٧ - نصائح للفتاة قبل الزواج . علي خليفة .

١٨ - الحياة الزوجية من البداية إلى النهاية . محمد حمزة العربي .

١٩ - سلسلة التفكير الناجح (١ - ٤) . مخطوطات للمؤلف .

٢٠ - الفقه الإسلامي وأدلته (٨ مجلدات) . د . وهبة الزحيلي .

٢١ - اللّه ليس كذلك . د . زيغريد هونكه .

٢٢ - إحياء علوم الدين . أبو حامد الغزالي .

٢٣ - الأمن العائلي . د . محمد عمر الحاجي .

٢٤ - تحفة العروس . محمود مهدي الإستانبولي .

٢٥ - الاختيار للزواج والتغير الاجتماعي . د . سامية حسن الساعاتي .

* * *

المحتويات

الإهداء ٣
مقدمة ٥
الفصل الأول : التعريف بالزواج ٩
أولًا – معنى الزواج وحقيقته ١١
ثانيًا – دوافع الزواج الرئيسة ١٥
ثالثًا – دوافع الزواج الفرعية ٢٢
رابعًا – أنواع الزواج ٣٦
خامسًا – الزواج والحب ٤٨
الفصل الثاني : مراحل الزواج ٥٥
أولًا – المعرفة الجنسية ٥٧
ثانيًا – معرفة الأهداف ٥٨
ثالثًا – تحديد الصفات ٦٣
رابعًا – تحقيق الباءة ٦٦
خامسًا – مراحل الزواج ٦٧
الفصل الثالث : الخطبة ٦٩
أولًا – مرحلة الخطبة ٧١
ثانيًا – أسس الاختيار ٧٧
ثالثًا – الرؤية والتحقق ٩٦

رابعًا - الاتفاق والحقوق ١٠٢
خامسًا - أحكام الخطبة ١٠٤
الفَصْلُ الرَّابعُ : عقد الزواج ١٠٧
أولًا - معنى عقد الزواج ١٠٩
ثانيًا - أركان عقد الزواج ١١٠
ثالثًا - شروط عقد الزواج ١١١
رابعًا - إجراء عقد الزواج ١١٤
خامسًا - توثيق عقد الزواج ١١٨
الفَصْلُ الخَامِسُ : حقوق وواجبات الزوجين ١٢١
أولًا - فلسفة الزواج ١٢٣
ثانيًا - حقوق مشتركة ١٢٥
ثالثًا - حقوق الزوجة ١٢٦
رابعًا - حقوق الزوج ١٢٧
خامسًا - حقوق الأهل ١٢٨
الفَصْلُ السَّادِسُ : ليلة الزفاف ١٣١
أولًا - الثقافة الجنسية ١٣٣
ثانيًا - الهدية والتهادي ١٣٧
ثالثًا - الفرح والغناء ١٣٩
رابعًا - اللقاء والتعاهد ١٤٦
خامسًا - ليلة الزفاف ١٥٢

الفَصْلُ السَّابعُ : استمرار نجاح الزواج ١٥٧
أولًا - دستور العائلة ١٥٩
ثانيًا - فن فهم الآخر ١٦٤
ثالثًا - حل المشكلات ١٦٨
رابعًا - تنمية المشاعر ١٧١
خامسًا - متعة الإجازة ١٧٧
خاتمة ١٨١
المصادر والمراجع ١٨٥
المحتويات ١٨٧

رقم الإيداع
2006/4060
I.S.B.N الترقيم الدولي
977-342-361-1

* * *

السيرة الذاتية للمؤلف

- محمد نبيل كاظم .
- أهلية تعليم (دار المعلمين بحلب) ١٩٧٠م .
- إجازة في الشريعة (جامعة دمشق) ١٩٧٤م .
- ثلاث سنوات فلسفة (جامعة دمشق) ١٩٧٨م .
- ماجستير دراسات إسلامية (جامعة البنجاب) ١٩٨٤م .
- خمس وثلاثون سنة تدريس .
- سبعون دورة تدريبية تربوية مختلفة .
- دبلوم NLP برمجة لغوية عصبية ٢٠٠٤م .
- له خمس كتب تربوية .
- له مشاريع خمس كتب أخرى .
- إلقاء دورات في التنمية البشرية ومتعة العقل (سلسلة التفكير الناجح) .
- أحلام وأهداف أخرى كثيرة (إن شاء اللّٰه تعالى) .
- البريد الإلكتروني :

mnkazem@yahoo.com.

* * *